

من روائع أقوال الصالحين

الجزء الأول

جمع وإعداد

محمد بن حمشو معمو

من روائع
أقوال الصالحين

الجزء الأول

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد..

فهذا كتاب «**من روائع أقوال الصالحين**» والذي يحوي على عدد من أقوال الصالحين مصنفة حسب الأبواب، وقد اخترتها من كتاب «**المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين**» لصاحبه محمد خلف سلامة جزاه الله خيرا. حيث قمت في هذا الكتاب باختصار كتابه وانتقاء جملة من تلك الأقوال، وترتيبها، حيث وجدت في كتابه أقوالا متشابهة ومكررة، فأحببت أن أختصرها ، وانتقي أحسنها وذلك تيسيرا على القارئ الكريم، والله ولي التوفيق..

1) سئل حمدون القصار: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟! قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضى الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق.«11»

خصائص السلف من الصحابة وكبار التابعين

قيل للحسن البصري: سبقنا القوم على خيلٍ دُهمٍ ونحن على حمر معقرة! فقال: إن كنتَ على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم. «الفوائد ص43»

قال الحسن: إن أصحاب محمد ﷺ كانوا أكياسًا، عملوا صالحًا وأكلوا طيبًا وقدموا فضلًا، لم ينافسوا ١ أهل الدنيا في دنياهم ولم يجزعوا من ذلها أخذوا صفوها وتركوا كدرها والله ما تعاظمت في أنفسهم حسنة ««عملوها ولا تصاغرت في أنفسهم سيئة أمرهم الشيطان بها.«3»

قال الحسن: كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان رضي الله عنه فأتناول سقفها بيدي. «جامع العلوم والحكم ص 42»
_ 6 _

قال الحسن: والله لقد أدركت أقوامًا لو شاء أحدهم أن يأخذ هذا المال من حله أخذه «أي بالحلال»، فيقال لهم: ألا تأتون نصيبكم من هذا المال فتأخذونه حلالًا؟! فيقولون: لا، إنا نخشى أن يكون أخذه فسادًا لقلوبنا١. «الزهد ص262-263» «8»

قال الحسن: لقد رأيت أناسًا تعرض لأحدهم الدنيا حلالًا فلا يتبعونها، يقولون: ما ندري ما حالنا فيها. «الزهد ص265» «9»

قال الحسن: والله لقد أدركت أقوامًا وإنْ كان أحدهم ليرث المال العظيم، قال: وإنه والله لمجهود شديد الجهد؛ قال: فيقول لأخيه: يا أخي إني قد علمت أن ذا ميراث وهو حلال ولكني أخاف أن يفسد علي قلبي وعملي، فهو لك، لا حاجة لي فيه؛ قال: فلا يرزأ منه شيأ

ابدًا؛ وهو والله مجهود شديد الجهد ١ . «الزهد ص260 والزهد الكبير ص69» 10

قال الحسن: لقد أدركت اقوامًا إن كان الرجل ليجلس مع القوم يرون أنه عيي وما به عي، إنه لفقيه مسلم. «الزهد ص 261 والعلم ص10» -17-

قال الحسن: أدركت أقوامًا ما كان أحدهم يستطيع أن يسر عملًا فيعلنه، قد علموا أن أحرز العملين من الشيطان عمل السر، وإن أحدهم ليكون عنده الزائر وإنه ليصلي خلف الوجه ما يعلم به زائره. «الزهد ص262» -18-

قال الحسن: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره؛ وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس؛ وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعرون به؛

---

[١] وهذه رواية أخرى:

قال الحسن: أدركت أقوامًا يدعون إلى الحلال وهم مجتهدون فيه [كذا ولعل الصواب مجهدون] فيدعونه يقولون: نخشى أن يفسدنا، حتى يموتوا جهدًا. «الورع ص56»

ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سر فيكون علانية أبدًا. -19-

قال الحسن: كان الرجل يتعبد عشرين سنة لا يشعر به جاره -20-

قال محمد بن ذكوان: غدوت يوم السبت فصليت الغداة في المسجد الجامع وإذا النضر بن عمرو، قاص من قصاص أهل الشام، يقص عليهم؛ فلما فرغ تكلم الحسن فجمع القول واختصر ثم سكت، فأقبل عليه النضر بن عمرو فقال: يا أبا سعيد إن الله تبارك وتعالى خلق الدنيا وخلق ما فيها فلم يخلق ما فيها من رئاستها وبهجتها وزينتها إلا لعباده فقال: «وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ؛ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهّ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ»[1]؛ فأخذ في هذا النحو، فلما فرغ من قوله أهوى الحسن بيده إلى ركبة النضر فجعل يهزها وقال: أيها الرجل اتق الله في نفسك ولا تؤفك ولا تهلك وإياك وهذه الأمانيّ أن ترجح فيها، فإن أحدًا لم يعط

[1] الأعراف «31-32».

بأمنيته خيرًا من خير الدنيا والآخرة[1]؛ إن الله اختار نبيكم ﷺ لنفسه وبعثه برسالاته وجعله رسولا إلى خلقه ثم أنزل عليه كتابه ثم وضعه من الدنيا موضعًا وقوّت له فيها قوتًا، حتى إذا نظر أهل الدنيا إلى مكانه من الدنيا ومكان الدنيا منه قال: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» [2]؛ ههنا أمرنا أن نأخذ بأمره وأن نقتدي بهديه وأن نسلك طريقه وأن نعمل بسنته؛ فما بلغْنا فبمن الله ورحمته، وما قصَّرْنا استغفرنا؛ فذاك باب مخرجنا؛ فأما الأماني فلا خير فيها ولا في أحد من أهلها؛ قال النضر عند ذلك: يا أبا سعيد والله إنا على ما كان فينا لنحب ربنا؛ قال الحسن: قد قال ذلك قوم على عهد نبيكم ﷺ فقالوا: يا محمد والله إنا لنحب ربنا فأنزل الله على نبيه: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» [3]؛ فجعل الله اتباع سنة محمد ﷺ عَلَمًا لحبه وأكذب من خالفها أيها الرجل اتق الله في نفسك فإني قد أدركت

---

[1] انظر هذه القطعة في «الزهد» «ص284».

[2] الأحزاب «21».

[3] آل عمران «31»؛ ووردت هذه القطعة الأخيرة من هذا الأثر في «طريق الهجرتين» «ص451» وانظر «مجموع الفتاوى» «2/ 454» و«جامع العلوم والحكم» «ص75».

أقوامًا كانوا قبلك في صدر هذه الأمة كانوا موافقين لكتاب ربهم ولسنة نبيهم ﷺ إذا جنهم الليل قيامًا على أطرافهم يفترشون وجوههم يناجون الذي خلقهم في فكاك رقابهم؛ إن عملوا حسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها؛ وإن عملوا سيئة بكَّتهم وسألوا الله أن يغفرها؛ إذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوا منه قوتهم ووضعوا الفضل في معادهم؛ وإن زوي عنهم قالوا: هذا نظر من الله وخيار، فكانوا كذلك؛ وعلى ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا بلغوا إلا بالمغفرة؛ وأصبحت أيها الرجل مخالفًا للقوم في زيهم وخوفهم وجدهم واجتهادهم، فالله الله في نفسك فإني قد رأيت أقوامًا كانوا قبلك بمثل مكانك يخطبون على هذا الخشب تهتز بهم الدواب ويصونون الخرق ويشيدون المدن، خرجوا من سلطانهم ومن دنياهم فقدموا على ربهم ونزلوا على أعمالهم فالله الله في نفسك، اعمل لها واحذر عليها إن كان لك حاجة فيها -21-

قال الحسن: والله لقد أدركت أقوامًا وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يتأسفون على شيء منها

أدبر[1]، ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة ولم يُطْوَ له[2] ثوبٌ قط ولا نُصب له قدر، ولا جُعل بينه وبين الأرض شيئًا، ولا أمر في بيته بصنعة طعام قط [3]؛ فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها؛ فما زالوا كذلك على ذلك فو الله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة؛ وإنكم أصبحتم في أجل منقوص والعمل محفوظ، والموت واللهِ في رقابكم، والنار بين أيديكم؛ فتوقعوا قضاء الله عز وجل في كل يوم وليلة. «الزهد ص285» -22-

---

[1] وانظر «الزهد» «ص263»

[2] أي ليس له الا ثوبه الذي هو لابسه.

[3] قال الحسن: والله لقد أدركت أقوامًا ما طوي لأحد منهم ثوب قط، ولا أمر أهله بصنعة طعام قط، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئًا قط؛ وإن كان أحدهم ليقول: لوددت أني أكلت أكلة فتصير في جوفي مثل الآجرة؛ وكان يقول: بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلاثمئة سنه. «الزهد ص260 والمصنف 7/ 190 و رك ص57»

قال الحسن: لقد صحبت أقوامًا يبيتون لربهم في سواد هذا الليل سجدًا وقيامًا يقومون هذا الليل على أطرافهم تسيل دموعهم على خدودهم فمرة ركعا ومرة سجدا يناجون ربهم في فكاك رقابهم لم يملوا كلال السهر لما قد خالط قلوبهم من حسن الرجاء في يوم المرجع؛ فأصبح القوم بما أصابوا من النَّصَب لله في أبدانهم فرحين وبما يأملون من حسن ثوابه مستبشرين؛ فرحم الله امرءًا نافسهم في مثل هذه الأعمال ولم يرض من نفسه لنفسه بالتقصير في أمره واليسير من فعله فإن الدنيا عن أهلها منقطعة والأعمال على أهلها مردودة؛ قال [الراوي عنه]: ثم يبكي حتى تبتل لحيته بالدموع. «التهجد ص340-341»-23-

قال الحسن: قد والله تعجبت مـــمن كان قبلكم كانوا إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون الذي خلقهم في فكاك رقابهم فنعتهم في كتابه أحسن النعت فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾؛ والهون في كلام العرب السكينة والوقار [١]؛ «وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

---

[١] هذا كلام للحسن معترض في أثناء الآيتين.

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا؛ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا»[1]؛ هذه والله صفتهم، وهذه والله حليتهم؛ والله ما سلموا من الذنوب، ولا نجوا إلا بالمغفرة. «التهجد ص442»-24-

قال علقمة بن مرثد في ذكر الثمانية من التابعين: وأما الحسن فما رأينا أحدًا أطول حزنًا منه؛ ما كنا نراه إلا حديث عهد بمصيبة، ثم قال: نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا، وقال: لا أقبل منكم شيئًا، ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله يعني قوة، والله لقد رأيت أقوامًا كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيت أقوامًا يمسي أحدهم ولا يجد عنده إلا قوتًا فيقول: لا أجعل هذا كله في بطني فيتصدق ببعضه ولعله أحوج إليه ممن يتصدق به عليه. -25-

قال الحسن: لقيت أقوامًا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم، ولقد لقيت أقوامًا كانوا من حسناتهم أشفق أن لا

---

[1] الفرقان «63-64».

تقبل منهم من سيآتكم[1]، ولقد صحبت أقواماً كان أحدهم يأكل على الأرض وينام على الأرض، منهم صفوان بن محرز المازني؛ وكان[2] يقول: إذا أويت إلى أهلي وأصبت رغيفاً أكلته فجزى الله الدنيا عن أهلها شرًا، والله ما زاد على رغيف حتى فارق الدنيا، يظل صائماً ويفطر على رغيف ويشرب عليه من الماء حتى يتروى ثم يقوم فيصلى حتى يصبح؛ فإذا صلى الفجر أخذ المصحف فوضعه في حجره يقرأ حتى يترحل النهار؛ ثم يقوم فيصلي حتى ينتصف النهار؛ فإذا انتصف النهار رمى بنفسه على الأرض فنام إلى الظهر؛ فكانت تلك نومته حتى فارق الدنيا، فإذا صلى الظهر قام فصلى إلى العصر؛ فإذا صلى العصر وضع المصحف في حجره فلا يزال يقرأ حتى تصفر الشمس.-26-

قال الحسن في قول الله تعالى: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ»[3]: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد

---

[1] يقول: خوفهم من حسناتهم أكثر من خوفكم من سيئاتكم؛ يخافون أن لا تقبل حسناتهم أكثر من خوفكم أن تعذبوا على سيئاتكم، فلله درهم، ورضي الله عنهم.

[2] أي صفوان.

[3] المؤمنون «60».

عليهم؛ إن المؤمن جمع إحسانًا وخشية؛ والمنافق جمع إساءة وأمنًا. -27-

قال الحسن: أدركت أقوامًا لو أنفق أحدهم ملء الأرض ما أمن، لعظم الذنب في نفسه. «جامع العلوم والحكم ص174» -28-

قال الحسن في هذه الآية: «كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا» [١]: الأواب إلى الله بقلبه وعمله؛ وفي هذه الآية: «يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ» [٢]: كانوا يعملون ماعملوا من أعمال البر وهم يخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله؛ وفي هذه الآية «وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا»[٣]: حلماء، وإن جُهل عليهم لم يجْهلوا؛ هذا نهارهم إذا انتشروا به في الناس؛ «وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا» [٤]: هذا ليلهم اذا

[١] قال تعالى: «رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا» [الإسراء 25].

[٢] قال تعالى: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» [المؤمنون 60].

[٣] قال تعالى: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» [الفرقان 63].

[٤] الفرقان «64».

خلوا بينهم وبين ربهم تبارك وتعالى، وفي هذه الاية «إن عذابها كان غرامًا» قال: علموا أن كل غريم مفارق غريمه إلا غريم جهنم. «الزهد ص286» -32-

ذكر الحسن هذه الآيات «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا»[1] فقال: إن المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوة من الله صدقوا بها فوصل نفعها إلى قلوبهم فخشعت لذلك قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم؛ فكنتَ إذا رأيتَهم رأيتَ قومًا كأنما يرون ما يوعدون رأي العين[2]. -34-

قال الحسن في وصفهم [يعني الصحابة وكبار التابعين]: إذا مروا بآية فيها ذكر الجنة بكوا شوقًا، وإذا مروا بآية فيها ذكر النار ضجوا صراخًا، كأن زفير جهنم عند أصول آذانهم. «التخويف من النار ص81»

كان الربيع بن خثيم يبكي حتى تبل لحيتَه دموعُه، فيقول: أدركنا أقوامًا كنا في جنبهم لصوصًا. -38-

---

[1] الفرقان «63».

[2] كانت «المتقين» فظننتها مصحفة عن «العين» فأثبتُّ هذه.

قال محمد بن واسع: لقد أدركت رجالًا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركتُ رجالًا يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي إلى جانبه. -42-

قال أبو التياح يزيد بن حميد الضبعي: أدركت أبي ومشيخة الحي إذا صام أحدهم ادّهنَ ولبس صالح ثيابه؛ ولقد كان الرجل يقرأ عشرين سنة ما يعلم به جيرانه. 44

قال ميمون بن مهران: أدركتُ من لم يكن يملأُ عينيهِ من السماءِ خوفًا من ربه عز وجل. -45-

قال إبراهيم التيمي: كم بينكم وبينَ القومِ!! أقبلتْ عليهمُ الدنيا فهربُوا منها وأدبَرَت عنكم فاتبعتموها. -46-

قال القاسم بن محمد بن أبي بكر: خصلتان كانتا في الناس ذهبتا منهم: الجود بما رزقهم الله وقيام الليل. «التهجد ص 512-513» -50-

قال خليد بن عبد الله العصري: المؤمن لا تلقاه إلا في ثلاث خلال: في مسجد يعمره[1] أو بيت يستره[2] أو حاجة من أمر دنيا لا بأس بها. -51-

قدمَ عطاءٌ الخراسانيُّ على هشامٍ[3] فنزلَ على مكحولٍ فقالَ لمكحولٍ: هاهنا أحدٌ يحرِّكُنا[4]؟ قال: نعم، يزيدُ بنُ ميسرةَ، فأتَوهُ فقال عطاءٌ: حرِّكنا رحمَكَ الله؛ قالَ: نعمْ، كانتِ العلماءُ إذا عَلِموا عمِلوا، فإذا عملوا شُغِلوا، فإذا شُغِلوا فُقِدوا، فإذا فُقِدوا طُلِبوا، فإذا طُلبوا هَرَبوا؛ قال: أعدْ عليَّ، فأعادَ عليهِ فرجعَ عطاءٌ ولم يلقَ هشامًا. -53-

قال يزيد بن ميسرة: كان أشياخُنا يسمّونَ الدنيا: الدنية، ولو وجدوا لها اسمًا شرًا منه لسموها! كانوا إذا أقبلتْ إلى أحدِهم دنيا قالوا: إليكِ إليكِ عنا لا حاجةَ لنا بِكِ، إنا نعرف إلهنا.

---

[1] أي بكثرة الصلاة والتعبد فيه.

[2] أي ويبعده عن الناس وما يكونون سببًا فيه من الشرور والمعاصي.

[3] ابن عبد الملك.

[4] أي يعظنا ويرقق قلوبنا.

ذكر عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو يحتاج إلى علمه. -68-

قال أبو يونس ابن أبي شبيب: شهدتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ وهو يطوفُ بالبيتِ وإنَّ حجزةَ إزارِه لغائبةٌ في عُكَنِه [1] العُكْنةُ: الطي الذي في البطن من السِّمن، والجمعُ عُكْنٌ وأعْكَان. [1]، ثم رأيتُه بعدما استُخلِفَ ولو شئتُ أن أعدَّ أضلاعَه من غيرِ أن أمسَّها لفعلتُ. -73-

قال العلاء بن عبد الكريم الأيامي: كنا نأتى مرة الهمداني فيخرج إلينا فنرى أثر السجود في جبهته وكفيه وركبتيه وقدميه [2] فيجلس هنيهة ثم يقوم قائمًا فإنما هو ركوع وسجود. -94-

قال ابن المبارك حدثنا رجل عن مرة الطيب قال: لما كانت الفتنة الأولى عصمه الله منها فقال: عُصمت منها! لأحدثن لله شكرًا، فكان يصلي في اليوم والليلة خمسين ركعة يختم فيها القرآن؛ فلما كانت فتنة

[1] العُكْنةُ: الطي الذي في البطن من السِّمن، والجمعُ عُكْنٌ وأعْكَان.

[2] قال الذهبي: بلغنا عنه أنه سجد لله حتى أكل التراب جبهته. «السير 4/ 75»

ابن الزبير عصم منها فقال: عصمت منها! لأحدثن لله شكرًا، فكان يصلي في اليوم والليلة عدد سور القرآن، مئة ركعة وأربع عشرة ركعة، يختم فيها القرآن[١]. -95-

قال أعرابي لأهل البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم. «جامع العلوم والحكم ص301» -100-

كتبَ عمرُ بن عبد العزيز إلى عَدِيِّ بنِ أرطاة[٢]: أما بعدُ، فإنك لن تزالَ تُعنّي إليَّ رجلًا من المسلمينَ في الحر والبردِ تسألُني عنِ السنةِ، كأنكَ إنما تعظِّمُني بذلكَ، وأيمُ اللهِ لحسْبُكَ بالحسنِ، فإذا أتاك كتابي هذا فسلِ الحسنَ لي ولكَ وللمسلمينَ، فرحمَ اللهُ الحسنَ فإنه من الإسلام بمنزلٍ ومكانٍ، ولا تقرينَّهُ كتابي هذا. -101-

---

[١] قال الذهبي في السير عقب نقله طائفة من هذه الأخبار: قلت: ما كان هذا الولي يكاد يتفرغ لنشر العلم ولهذا لم تكثر روايته وهل يراد من العلم إلا ثمرته؟

[٢] وكان على البصرة.

قال الحسن: ما ضربت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى أنظر على طاعة أو على معصية، فإن كانت طاعة تقدمت، وإن كانت معصية تأخرت. «الورع ص 116 وكلمة الإخلاص ص35 وجامع العلوم والحكم ص76» -102-

قال الأشعث: كنا إذا أتينا الحسن لا يسأل عن خبر ولا يخبر بشيء، وإنما كان في أمر الآخرة. -103-

قيل ليونس: أتعرف أحدًا يعمل بعمل الحسن؟ فقال: والله لا أعرف أحدًا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله؟! ثم وصفه فقال: إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه، وإذا جلس فكأنه أُمِرَ بضرب عنقه! وإذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له! «المعارف ص 195 والعقد الفريد -105-

إخلاص والنيات والمقاصد

قالَ شفيٌّ بنُ ماتعٍ الأصبحيّ: إنَّ الرجلينِ ليكونانِ في الصلاةِ مناكبُهما جميعًا، ولَمَا بينَهما كما بينَ السماءِ والأرضِ، وإنهما ليكونانِ في بيتٍ صيامُهما واحدٌ[1] ولَمَا بينَ صيامِهما كما بينَ السماءِ والأرضِ. -109-

قال الحسن: المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه، هو رجل سوء، يريد أن يقول الناس: هو صالح؛ فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء؛ فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه. «الكبائر ص 144» -110-

قال الحسن: صم ولا تبغ في صومك؛ قيل: وما بغيي في صومي؟ قال: أن يقول الرجل: ارفعوا لي كذا ارفعوا لي كذا فإني أريد الصوم غدًا. -111-

---

[1] في الأصل «واحدًا».

قال الحسن: رحم الله عبدًا وقف عند همه، فإن أحدًا لا يعمل حتى يهم، فإن كان لله عز وجل مضى، وإن كان لغير الله أمسك. –

–112

قال ميمون بن مهران: إن أعمالَكم قليلةٌ فأخلصوا هذا القليل. –

–113

قال الحسن في قول الله عز وجل : «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ»[١] : كان إذا قال قال لله، وإذا عمل عمل لله، وإذا نوى نوى لله.

«–115

قال الحسن: لا يزال العبد بخير ما إذا قال قال لله وإذا عمل عمل لله عز وجل. «الزهد ص271» –116–

قال مطرِّف: صلاح القلب بصلاح العمل وصلاح العمل بصحة النية 117

قال مطرِّف: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته قال الله عز وجل: هذا عبدى حقًا. 118

[١] هود «75».

قال أبو العالية: اجتمع إلي أصحاب محمد فقالوا: يا أبا العالية لا تعمل عملًا تريد به غير الله فيجعل الله ثوابك على ما أردت؛ قال: واجتمع إلي أصحاب محمد فقالوا: يا أبا العالية لا تتكلن على غير الله فيكلك الله إلى من اتكلت عليه[١] . «التوكل على الله 39» -120-

قال أبو عمران الجوني: تصعد الملائكة بالأعمال فينادَى الملك: ألقِ تلك الصحيفة! ألقِ تلك الصحيفة! فتقول الملائكة: ربنا قالوا خيرًا وحفظناه عليهم، فيقول تبارك وتعالى: لم يرد به وجهي، قال: وينادى الملك اكتب لفلان كذا وكذا، مرتين، فيقول: يا رب إنه لم يعمله! فيقول جل وعز: إنه نواه. -122-

قال مالك بن دينار: منْ لمْ يكنْ صادقًا فلا يتعب فإنه لا ينجو ولا يفلح إلا الصادقين.-123-

---

[١] قال أبو العالية: قال لي أصحاب محمد: لا تعمل لغير الله فيكلك الله عز وجل إلى من عملت له. »صفـ3/ 212«

ذكر الربيع بن المنذر عن أبيه قال: قال محمد بن الحنفية: يا منذر، قلت: لبيك، قال: كلُّ ما لا يُبتغى به وجه الله تعالى يضمحل. -124-

قال عمرُ بنُ ذر: ربما قيلَ لإبراهيم التيميِّ: تكلمْ، فيقول: ما تحضرني نية -125-

قال الحسن: النية أبلغ من العمل. «الزهد ص280» -129-

قال يحيى بن أبي كثير: تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل [1]. «3/ 70» -130-

قال بديل العقيلي: من أراد بعلمه وجه الله أقبل الله عليه بوجهه وأقبل بقلوب العباد إليه، ومن عمل لغير الله تعالى صرف عنه وجهه وصرف قلوب العباد عنه. -131-

[1] سُئِل سهل بن عبد الله التستري: «أي شيء أشد على النفس؟ قال: الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب»؛ فمع الإخلاص تنسى حظوظ النفس.

قال ابن المبارك: «رب عمل صغير تكثره النية، ورب عمل كبير تصغره النية».

قال بلالٌ بن سعد: لا تكنْ وليًا لله فِي العلانيةِ وعدوَّه في السرّ. –133–

قال بلال بن سعد: عبادَ الرحمنِ اعلموا أنكم تعملونَ في أيامٍ قصارٍ لأيامٍ طوالٍ، وفي دارِ زوالٍ لدارِ مقامٍ وفي دارِ نصبٍ وحزنٍ لدارِ نعيمٍ وخُلْدٍ، –134–

ذكر الأعمش عن ابراهيم قال: إن الرجل ليتكلم بالكلام على كلامه المقت ينوي به الخير فيلقى الله له العذر في قلوب الناس حتى يقولوا: ما أراد بكلامه إلا الخير، وإن الرجل ليتكم الكلام الحسن لا يريد به الخير فيلقي الله في قلوب الناس حتى يقولوا: ما أراد بكلامه الخير. –135–

قال زبيد اليامي: يسرني أن يكون لي في كل شيء نية حتى في الأكل والنوم. –136–

قال عبد الرحمن بن الحكم حدثني أبي قال: رأيت سفيان الثوري يجيء إلى عمرو [بن قيس الملائي] ينظر إليه لا يكاد يصرف بصره عنه، أظنه يحتسب في ذلك. –139–

قال أبو مسلم الخولاني: لأن يولد لي مولود يحسن الله عز وجل نباته حتى إذا استوى على شبابه و كان أعجب ما يكون إلي قبضه مني: أحب إلي من أن يكون لي الدنيا وما فيها. 140

قال كثير بن تميم الداري: كنت جالسًا مع سعيد بن جبير فطلع عليه ابنه عبد الله وكان به من الفقه فقال: إني لأعلم خير حالاته، قالوا: وما هو؟ قال: أن يموت فأحتسبه. 141

عن زياد بن أبي حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك استوى قائمًا وأحاط به الناس فقال: والله يا بني لقد كنت برًا بأبيك؛ والله ما زلت منذ وهبك الله لي مسرورًا بك؛ ولا والله ما كنتُ قط أشد سرورًا ولا أرجى لحظي من الله فيك منذ وضعتك في المنزل الذي صيرك الله إليه؛ فرحمك الله وغفر لك ذنبك وجزاك بأحسن عملك، ورحم كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب؛ رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره، الحمد لله رب العالمين ثم انصرف. 142

عن صالح الدهان أن جابر بن زيد كان لا يماكس في ثلاث: في الكراء إلى مكة وفي الرقبة يشتريها للعتق وفي الأضحية، وكان لا يماكس في كل شيء يتقرب به إلى الله عز وجل. 145

بعث محمد بن المنكدر إلى صفوان بن سليم بأربعين دينارًا، ثم قال لبنيه: يا بني ما ظنكم برجل فرغ صفوان لعبادة ربه عز وجل؟! -147-

عن سعيد بن مرجانة أنه قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إربًا منه من النار حتى إنه يعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج؛ فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ قال سعيد: نعم، فقال لغلام له أفره غلمانه: أُدعُ مطرفًا، فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حر لوجه الله عز وجل---، وكان عبد الله بن جعفر قد أعطى علي بن الحسين بهذا الغلام الذي أعتقه ألف دينار. 148

كان الحارثُ بن سويدٍ إذا شتمَه الرجلُ يقولُ: من يعملْ مثقالَ ذرةٍ خيرًا يرَه، ومنْ يعملْ مثقالَ ذرةٍ شرًا يره؛ كل ذلك يحصى. 149

قال مكحول: ما أخلص عبد قط أربعين يومًا إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه 153

الصدق

قال أبو مجلز: قال رجل لقومه: عليكم بالصدق فإنه نجاة.
«الصمت ص228» 154

قال الشعبي: عليك بالصدق حيث تُرى أنه يضرك؛ فإنه ينفعك، واجتنب الكذب في موضع ترى أنه ينفعك؛ فإنه يضرك. 155

قال أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي: "ربعى بن حراش: كوفي تابعي ثقة، من كبار التابعين، يقال إنه لم يكذب كذبة قط! كان له ابنان عاصيان زمن الحجاج؛ وقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب كذبة قط لو أرسلت إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه فقال: أين ابناك؟ قال: هما في البيت!! قال: قد عفوت عنهما لصدقك.الصمت ص 229 – 156–

قال محمد بن اسحاق: جاء أعرابي إلى القاسم بن محمد فقال: أنت أعلم أو سالم؟ فقال: ذاك منزل سالم، فلم يزده عليها حتى قام

الأعرابي. قال محمد بن اسحاق: كره أن يقول: هو أعلم مني فيكذب أو يقول: أنا أعلم منه فيزكي نفسه. -157-

التوبة

كان الحسن يقول: إذا أذنب العبد ثم تاب لم يزدد من الله إلا قربًا. 160

قال الحسن في قوله تعالى «غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ» ٣٤: غافر الذنب لمن لم يتب، وقابل التوب ممن تاب. 161.

قال سعيد الجريري: قلت للحسن: يا أبا سعيد الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب، حتى متى؟ قال: ما أعلم هذا إلا أخلاق المؤمنين. 163

سئل الحسن عن التوبة النصوح فقال: ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح وإضمار أن لا يعود 165

قال الحسن: كنا نحدَّث أنه من عيَّرَ أخاه بذنب قد تاب إلى الله منه ابتلاه الله عز وجل به. «الزهد ص281 والصمت ص170 –166–

[٣٤] غافر «3».

كان أبو مسلمٍ الخولاني إذا وقف على خربةٍ قال: يا خربة أين أهلك؟! ذهبوا وبقيتْ أعمالُهم وانقطعت الشهواتُ وبقيت الخطيئةُ، ابن آدم ترْكُ الخطيئةِ أهونُ منْ طلبِ التوبة. -169-

قال أبو حازم: إن العبد ليعمل الحسنة تسُرُّه حين يعملها وما خلق الله من سيئة أضرَّ له منها؛ وإن العبدَ ليعمل السيئة حتى تسوءه حين يعملها، وما خلق الله من حسنة أنفعَ له منها، وذلك أن العبدَ ليعمل الحسنة تسره حين يعملها فيتجبر فيها ويرى أن له بها فضلًا على غيره، ولعل الله تعالى أن يحبطها ويحبط معها عملًا كثيرًا، وان العبد حين يعمل السيئةَ تسوءه حين يعملها ولعل الله تعالى يحْدِثُ له بها وجلًا يلقى الله تعالى، وإن خوفَها لفي جوفه باق -170-

قال أبو حازمٍ: نحنُ لا نريدُ أن نموتَ حتى نتوبَ، ونحنُ لا نتوبُ حتى نموتَ، واعلمْ أنك إذا متَّ لم تُرفعِ الأسواقُ بموتِكَ، إنَّ شأنَكَ صغيرٌ فاعرفْ نفسَكَ. -171-

قال بلالُ بن سعد: عبادَ الرحمنِ يقالُ لأحدِنا: أتحبُّ أنْ تموتَ؟ فيقولُ: لا، فيقالُ: لِمَ؟ فيقولُ: حتى أعملَ، ويقولُ: سوفَ أعملُ، فلا

يحبُّ أنْ يموتَ ولا يحبُّ أن يعملَ؛ وأحبُّ شيءٍ إليهِ أن يؤخرَ عملَ الله، ولا يحبُّ أنْ يؤخِّرَ عنه عرَضَ الدنيا. -173-

قال ميمون بن مهران: لا خيرَ في الدنيا إلا لرجلين: رجلٍ تائبٍ، ورجلٍ يعمل في الدرجات فهما رجلان: الأول يعمل في تكفير الخطيئات؛ والثاني يعمل في تحصيل الحسنات. -174-

قيلَ لسعيد: من أعبدُ الناسِ؟ قالَ: رجلٌ اجترحَ من الذنوبِ فكلما ذكرَ ذنوبَهُ احتقرَ عملَهُ. -177-

قال عون بن عبد الله: ما أقبحَ السيآتِ بعدَ السيآتِ! وما أحسنَ الحسناتِ بعدَ السيآت! وأحسنُ من ذلكَ الحسناتُ بعدَ الحسنات. -178-

قال عون بن عبد الله: اهتمامُ العبدِ بذنبهِ داعٍ إلى تركِه؛ وندمُه عليهِ مفتاحٌ للتوبةِ؛ ولا يزالُ العبدُ يهتمُّ بالذنبِ يصيبُه حتى يكونَ أنفعَ لهُ مِن بعضِ حسناتِه 179

قال عون بن عبد الله: قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها فالموعظة إلى قلوبهم سريعة وهم إلى الرقة أقرب؛ فداووا

القلوب بالتوبة فلرب تائب دعته توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها وجالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب. -180-

قال عون بن عبد الله: جالسوا التوابينَ فإنهم أرقُّ الناسِ قلوبًا. -181-

قال مكحول: أرق الناس قلوبًا أقلهم ذنوبًا. «الرقة والبكاء 66» -182-

كان عمرُ بن عبد العزيز يخطُبُ فيقولُ: أيها الناسُ مَن ألَمَّ بذنبٍ فليستغفرِ اللهَ وليتبْ فإن عادَ فليستغفرِ اللهَ وليتبْ، فإن عادَ فليستغفرِ اللهَ وليتبْ، فإنما هي خطايا مطوقةٌ في أعناقِ الرجالِ، وإنَّ الهلاكَ كلَّ الهلاكِ الإصرارُ عليها. -183-

أتى رجلٌ ميمون بن مهران فقال له: لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما كنتَ فيهم! قال: لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما اتقوا الله. -187-

كتبَ عمرُ بن عبد العزيز إلى رجلٍ: أوصيكَ بتقوى اللهِ الذي لا يقبَلُ غيرَها ولا يرحمُ إلا أهلَها ولا يُثيبُ إلا عليها؛ فانَّ الواعظينَ بها كثيرٌ والعاملينَ بها قليلٌ. -188-

قال العلاء بن زياد العدوي: إنما نحن قومٌ وضعْنا أنفسَنا في النارِ إن شاء اللهُ أنْ يخرجَنا منها أخرجَنا. -193-

قال الحسن: والله ما تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة حين أبكاهم الخوف من الله تعالى. -194-

كان يزيد بن أبان الرقاشي يقول في قصصه: ويحك يا يزيد من يترضى عنك ربَّك؟! ومن يصوم لك أو يصلي لك؟! ثم يقول: يا معشر مَن القبرُ بيتُه والموتُ موعدُه ألا تبكون؟! فبكى حتى سقطت أشفار عينيه 195

قال الحسن: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء. 196

قال علي بن زيد: بات الحسن عندنا، فبات باكيًا، فلما أصبح قلت: يا أبا سعيد لقد أبكيتَ الليلةَ أهلَنا، قالَ: يا علي إني قلتُ: يا حسن، يعني نفسَه، لعل الله نظر إليك على بعض هناتك فقال: اعمل ما شئتَ فلستُ أقبل منك شيئًا. 198

قال حفص بن عمر: بكى الحسن فقيل له ما يبكيك؟! فقال: أخاف أن يطرحني غدًا في النار 199

قال عطاء الازرق: سمعت رجلًا سأل الحسن: كيف أنت؟ كيف حالك؟ قال: بأشر[٣٥] حال وما حال من أصبح وأمسى ينتظر الموت لا يدري ما يفعل الله به. «الزهد ص262 200

قال أبو مجلز لاحق بن حميد: أكيس المؤمنين أحذرهم. 202

قالَ عمرو بن مهاجر: قال عمر بن عبدِ العزيز: إذا رأيتَني قد مِلتُ عن الحقِّ فضع يدَك في تلبابي ثم هزَّني ثم قلْ: يا عمرُ ما تصنعُ؟! 203

قال مطرف: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواءً لا يزيد أحدهما على صاحبه. 211

---

[٣٥] في «الزهد الكبير»: «بأشد».

قال مورقٌ العجليُّ: ما وجدتُ للمؤمنِ في الدنيا مثلًا إلا مثلَ رجلٍ على خشبةٍ في البحرِ وهو يقولُ: يا رب يا رب، لعلَّ اللهَ أن ينجيَه. 216

قال الحسن: مات أخ لنا فصلينا عليه فلما وضع في قبره ومد عليه الثوب جاء صلة بن أشيم فأخذ بناحية الثوب ثم نادى يا فلان بن فلان:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة

وإلا فإني لا إخالك ناجيا

قال: فبكى وأبكى الناس. 217

قال الحارث بن سعيد: كان أبو عمران الجوني إذا سمع الأذان تغير لونه وفاضت عيناه. 219

كان محمد بن واسع إذا قيل له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: ما ظنك برجل يرحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة؟! « 220

قال عبد الله بن مرزوق: بلغني أن مالك بن دينار دخل المقابر ذات يوم فإذا رجل يدفن فجاء حتى وقف على القبر فجعل ينظر إلى الرجل وهو يدفن فجعل يقول: مالك غدًا هكذا يصير، وليس له شيء يتوسده في قبره، فلم يزل يقول: غدًا مالك هكذا يصير، حتى خر مغشيًا عليه في جوف القبر، فحملوه فانطلقوا به إلى منزله مغشيًا عليه. 225

قال مالك: الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل. 230

قال حماد بن زيد: سمعت يونس بن عبيد قال يومًا: توشك عينك أن ترى ما لم تر، وتوشك أذنك أن تسمع ما لم تسمع! ثم لا تخرج من طبقة إلا دخلت فيما هو أشد منها، حتى يكون آخر ذلك الجواز على الصراط. 232

قال أبو حازم: لو نادى منادٍ من السماء بأمْنِ أهل الأرض من دخول النار لحق عليهم الوجل من حضور ذلك الموقف ومعاينة ذلك اليوم 234

قال العوام بن حوشب: ما رأيت [عبد الله] بن أبي الهذيل إلا وكأنه مذعور. 283

قال عبدُ الأعلى التيمي: شيئان قطعا عني لذاذةَ الدنيا: ذِكْرُ الموتِ والوقوفُ بينَ يدي اللهِ عزَّ وجلَّ. 240

دخل عمرُ بن عبد العزيز على امرأتِه فقالَ: يا فاطمةُ عندكِ درهَمٌ أشتري به عنبًا؟! قالت: لا، قالَ: فعندَك نُمِّيّة [٣٦]، يعني الفلوس، أشتري بها عنبًا؟ قالت: لا! فأقبلتْ عليهِ فقالَتْ: أنتَ أميرُ المؤمنينَ لا تقدِرُ على درهَمٍ ولا نُمّيّةٍ تشتري بها عنبًا؟! قال: هذا أهونُ علينا من معالجةِ الأغلالِ غدًا في نار جهنم. 241

قالَ المغيرةُ بنُ حكيمٍ: قالتْ لي فاطمةُ بنتُ عبدِ الملك: يا مغيرةُ قد يكونُ منَ الرجالِ من هو أكثرُ صلاةً وصيامًا من عمر، ولكني لم أرَ منَ الناسِ أحدًا قطّ كانَ أشدَّ خوفًا من ربِّه منعمر! كانَ إذا دخلَ

[٣٦] النُّمِّيّة: الفَلْس، وجمعها نَمامي كذرية وذراري؛ انظر «المعجم الاقتصادي الاسلامي» لأحمد الشرباصي «ص468-469».

البيتَ ألقى نفسَه في مسجدِه فلا يزالُ يبكي ويدعو حتى تغلبَه عيناه!
ثم يستيقظُ فيفعلُ مثلَ ذلكَ ليلتَه أجمع[٣٧]. 242

قال وهيبُ بنُ الوردِ: اجتمع بنو مروانَ على بابِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، وجاءَ عبدُ الملكِ بنُ عمرَ ليدخلَ على أبيهِ، فقالوا له: إما أنْ تستأذنَ لنا، وإما أن تُبلغَ أميرَ المؤمنينَ عنا الرسالةَ؛ قالَ: قولوا، قالوا: إنَّ مَن كانَ قبْلَه من الخلفاءِ كانَ يعطينا ويعرِفُ لنا موضعَنا، وإنَّ أباكَ قد حرَمَنا ما في يديهِ! قالَ: فدخلَ على أبيهِ فأخبرَه عنهم، فقال له عمرُ: قلْ لهم: إنَّ أبي يقولُ لكم: «إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ»[٣٨].243

[٣٧] قال الوليد بن أبي السائب: ما رأيت أحدًا قطُّ الخوفُ – أو قال: الخشوع – أبيَنُ على وجهه من عمر بن عبد العزيز. «5/ 260»

[٣٨] الأنعام «15» ويونس «15» والزمر «13».

حج سليمانُ ومعه عمر فخرج سليمانُ إلى الطائفِ فأصابه رعدٌ وبرْقٌ ففزِعَ سليمانُ! فقال لعمر: ألا ترى ما هذا يا أبا حفص؟ قال: هذا عندَ نزولِ رحمتِه فكيف لو كانَ عندَ نزولِ نقمتِه[٣٩]؟! 244

كان لعمرَ أخٌ واخاهُ في الله، عبدٌ مملوكٌ يقال له: سالم؛ فلما استُخلِفَ دعاه ذاتَ يومٍ فأتاهُ فقال له: يا سالمُ إني أخافُ أن لا أنجو! قالَ: إن كنتَ تخافُ فنِعِمّا؛ ولكني أخافُ أن لا تخافَ؛ إنَّ اللهَ أسكنَ

---

[٣٩] وجاء في رواية أخرى أنه بينا عمر بن عبدالعزيز مع سليمان بعرفات إذ برقت وأرعدت رعدا شديدا ففزع منه سليمان فنظر إلى عمر وهو يضحك فقال يا عمر: أتضحك وأنت تسمع ما تسمع؟ قال: يا أمير المؤمنين هذه رحمة الله أفزعتك كيف لو جاءك عذابه؟! وفي رواية ثالثة: كان عمر بن عبدالعزيز واقفا مع سليمان بعرفة فرعدت رعدة من رعدتها مه [كذا] فوضع سليمان صدره على مقدم الرحل وجزع منها فقال له عمر يا أمير المؤمنين هذه جاءت برحمة فكيف لو جاءت بسخطة؟! قال ثم نظر سليمان إلى الناس فقال ما أكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان ابتلاك الله بهم. «5/ 288»

عبدًا دارًا فأذنبَ فيها ذنبًا واحدًا فأخرجهُ من تلكَ الدارِ! ونحنُ أصحابُ ذنوبٍ كثيرةٍ نريدُ أن نسكنَ تلكَ الدار[٤٠]!! 247

قال زياد بن أبي زياد المديني: أرسلني ابن عامر بن أبي ربيعة إلى عمر بن عبد العزيز في حوائج له فدخلت عليه وعنده كاتب يكتب، فقلت: السلام عليكم، فقال: وعليك السلام ثم انتبهت، فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته؛ فقال: يا ابن أبي زياد إننا لسنا ننكر الأولى التي قلت[٤١]، والكاتب يقرأ عليه مظالم جاءت من البصرة، فقال لي: اجلس، فجلست على أسكفة الباب وهو يقرأ وعمر يتنفس صعدًا، فلما فرغ أخرج من كان في البيت حتى وصيفًا كان فيه؛ ثم قام يمشي إليَّ حتى جلس بين يدي ووضع يديه على ركبتي ثم قال: يا ابن أبي زياد استدفأت في مدرعتك هذه - قال: وعليَّ مدرعة من صوف - واسترحتَ مما نحن فيه؛ ثم سألني عن صلحاء أهل المدينة رجالهم ونسائهم؛ فما ترك منهم أحدًا إلا سألني عنه؛ وسألني عن أمور كان أمر بها بالمدينة فأخبرته؛ ثم قال لي: يا ابن

---

[٤٠] اللهم اسكنا الجنة برحمتك؛ آمين.

[٤١] يعني بالأولى التحية المجردة عن مناداته بإمارة المؤمنين.

أبي زياد ألا ترى ما وقعت فيه؟! قال: قلت: أبشر يا أمير المؤمنين، إني أرجو لك خيرًا؛ قال: هيهات هيهات؛ قال: ثم بكى حتى جعلت أرثي له؛ فقلت: يا أمير المؤمنين بعض ما تصنع؛ فإني أرجو لك خيرًا؛ قال: هيهات هيهات؛ أشتُم ولا أُشْتَم، وأضرِب ولا أضرَب، وأوذي ولا أوذَى؛ ثم بكى حتى جعلت أرثي له فأقمت حتى قضى حوائجي ثم أخرج من تحت فراشه عشرين دينارًا فقال: استعن بهذه، فإنه لو كان لك في الفيء حق أعطيناك حقك، إنما أنت عبد، فأبيت أن آخذها، فقال: إنما هي من نفقتي فلم يزل بي حتى أخذتها؛ وكتب إلى مولاي يسأله أن يبيعني منه، فأبى وأعتقني. 249

لما حج زين العابدين أراد أن يلبي فارتعد وقال: أخشى أن أقول: لبيك اللهم لبيك فيقال لي: لا لبيك!! فشجعوه على التلبية، فلما لبى غشي عليه حتى سقط عن الراحلة. 252

بينا٤٢ محمد بن المنكدر ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى وكثر بكاؤه حتى فزع أهله وسألوه: ما الذي أبكاه؟ فاستعجم عليهم

---

٤٢ هذه ليست مصحفة عن «بينما» كما قد يتوهمه كثير من المبتدئين، بل هي الأفصح هنا، والفرق بينها وبين «بينما» أن «بينا» ظرف زماني واقع في أثناء زمن أطول منه، وأما

وتمادى في البكاء فأرسلوا إلى أبي حازم فأخبروه بأمره فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي، قال: يا أخي ما الذي أبكاك؟! قد رعت أهلك!

«بينما» فظرف واقع بين طرفين، كقولك «بينما دخل زيد وخرج قرأ عمرو سورة طويلة»؛ ومثال استعمال بينا قولك «بينا زيد جالس قرأ عمرو مئة آية»؛ وجاء في «معجم قواعد اللغة العربية» للشيخ عبد الغني الدقر ما لفظه «بَيْنَا وبَيْنَمَا: أَصْلُهُما: بَيْنَ مُضافَةً إلى أوْقات مضافَةٍ إلى جُملةٍ، فَحُذِفَتِ الأوْقاتُ وعُوِّضَ عنها «الألِفُ» [يعني في بينا]، أو «مَا» [يعني في بينما].

وهما مَنْصُوبَتَا المَحَلّ، والعامِلُ فِيهما ما تَضَمَّنَتْهُ «إذْ» مِنْ مَعْنى المُفَاجَأة، كقولك: «بَيْنَا أَنَا مُنْطَلِقٌ إذْ جَاءني بَيْنَ أوقاتِ انْطِلاَقِي، وقد تأتي «بينا» بدون «إذْ» بعدَها، وهو فصيحٌ عند الأصمعي، وعليه الحديثُ في البخاري: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينَا أنا نَائِمٌ رأيت النَّاسُ يُعْرَضُون عليّ» الحديث.

وما بعد «بَيْنَا» و«بَيْنَمَا» إذا كان اسمًا رُفِع بالابتداءِ وما بَعدَه خَبر.

وإذا كان بعد «بينا» اسم ثم فعل - ومثلها «بينما» - كان عَامِلُهُمَا مَحْذُوفًا يفسِّرُهُ الفعلُ المذكورُ نحو «بينما بكرٌ يعملُ في حقله إذ رأى مالًا».

وإعْرابُهُما: عَلَى الظَّرفيَةَ الزَّمَانِّيةِ لأَنَّهُما - في الأصل مُضَافتان إلى أَوْقَات، والأَلِفُ أو «ما» عوَضٌ عن المُضَافِ إلَيْهِ كَمَا تَقَدَّم».

أفمن علة أم ما بك؟! فقال: إنه مرت بي آية في كتاب الله عز وجل، قال: وما هي؟ قال: قول الله تعالى : «وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ»٤٣؛ فبكى أبو حازم أيضًا معه، واشتد بكاؤهما! فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه فزدته! فأخبرهم ما الذي أبكاهما. 253

قال ثابت البناني: أيُّ عبدٍ أعظم حالًا من عبد يأتيه ملك الموت وحده ويدخل قبره وحده ويوقف بين يدي الله وحده ومع ذلك ذنوب كثيرة ونعم من الله كثيرة؟. 254

قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: قلتُ ليزيدٍ بنِ مرثدٍ ٤٤: ما لي أرى عينَكَ لا تجفُّ؟! قالَ: وما مسألتُك عنهُ؟ قلتُ: عسى الله أن ينفعني به، قال: يا أخي إن الله قد توعدني إن أنا عصيتُه أن يسجنَني في النار، والله لو لم يتوعدْني أن يسجنَني إلا في الحمامِ لكنتُ حريًا أن لا تجفَّ لي عينٌ! قالَ: فقلتُ لهُ: فهكذا أنتَ في خلواتك؟! قال: وما مسألتُك عنه؟ قلت: عسى الله أن ينفعَني به، فقالَ: والله إنَّ ذلكَ

---

٤٣ الزمر «47».

٤٤ هو أبو عثمان الهمْداني، الصنعاني، من صنعاء دمشق، ثقة، قال ابن حجر من الثالثة.

ليعرِضُ لي حينَ أسكنُ إلى أهلي فيحولُ بيني وبينَ ما أريدُ! وإنه ليوضَعُ الطعامُ بينَ يديَّ فيعرضُ لي فيحولُ بيني وبين أكلِه حتى تبكي امرأتي ويبكي صبيانُنا ما يدرونَ ما أبكانا! ولربَّما أضجرَ ذلكَ امرأتي فتقولُ: يا ويحَها! ما خُصِصْتُ به مِن طولِ الحزنِ معك في الحياة الدنيا؛ ما تقرُّ لي معك عينٌ. 255

قال بلالٌ: أمّا ما وَكَلَكُم بهِ فتضيّعونَ! وأمّا ما تكفَّلَ لكم بهِ فتطلبون!! ما هكذا نعتَ اللهُ عبادَه المؤمنينَ! أَذَوُوا عقولٍ في طلبِ الدنيا وبلْهٌ عما خُلقْتُم له؟!! فكما ترجونَ رحمةَ اللهِ بما تؤدّونَ من طاعةِ اللهِ فكذلك أشْفِقوا من عقابِ اللهِ بما تنتهكون من معاصي الله. 256

قال سفيان الثوري: لو رأيتَ منصورًا يصلي لقلتَ: يموتُ الساعةَ[٤٥]. 258

قال عبد الله بن إدريس: سمعت عمي يذكر قال: كان كردوس يقول ويقص علينا زمن الحجاج: إن الجنة لا تنال إلا بعمل، اخلطوا

---

[٤٥] قال أبو بكر بن عياش: لو رأيت منصور بن المعتمر وعاصمًا والربيع بن ابي راشد في الصلاة وقد وضعوا لحاهم على صدورهم عرفت أنهم من أبرار الصلاة. «5/ 40»

الرغبة بالرهبة ودوموا على صالح الأعمال، والقوا الله بقلوب سليمة وأعمال صادقة 259

الرقة والبكاء[٤٦]

قال مالك بن دينار: دخلت مع الحسن السوق فمر بالعطارين فوجد تلك الرائحة، فبكى ثم بكى حتى خفت أن يغشى عليه، ثم قال: يا مالك والله ما هو إلا حلول القرار من الدارين جميعًا: الجنة أو النار؛ ليس هناك منزل ثالث 262

قال قتادة: كان زياد بن مطر العدوي قد بكى حتى عمي وبكى ابنه العلاء بن زياد بعده حتى عشى بصره؛ وكان إذا أراد أن يتكلم أو يقرأ أجهشه البكاء. 264

[٤٦] قال ابن القيم في «الفوائد» «ص 118»: «قال بعض الزهاد: ما علمت أن أحدًا سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراة أو إحسان فقال له رجل: إني أكثر البكاء فقال: إنك أن تضحك وأنت مقر بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك، وإن المدل لا يصعد عمله فوق رأسه؛ فقال: أوصني، فقال: دع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها؛ وكن فى الدنيا كالنحلة، إن أكلتْ أكلتْ طيبًا، وإن أطعمت أطعمت طيبًا، وإن سقطت على شيء لم تكسره ولم تخدشه».

قال جعفر: رأيت مالك بن دينار يتقنع بعباء، أو قال: بكساء، ثم يقول: إله مالك قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الدارين دار مالك؟ وأى الرجلين مالك؟ ثم يبكي. 267

قال مالك بن دينار: البكاء على الخطيئة يحط الذنوب كما تحط الريح الورق اليابس. « 268

قال مالك بن أنس: كان محمد بن المنكدر سيد القراء، ولا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا كان يبكي. 269

قال مالك بن أنس: كنا ندخل على أيوب السختياني فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه[٤٧]. 270

---

[٤٧] ما أحسن أن يجتمع عند المرء العلم والتقوى وما أشد انتفاع الناس حينئذ بعلمه ودعوته؛ قال الذهبي في ترجمة الحافظ أبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي البغدادي «462-538» في «التذكرة» «4/ 1282-1283»: «الحافظ العالم محدث بغداد0000 قال السمعاني: هو حافظ ثقة متقن واسع الرواية دائم البشر سريع الدمعة عند الذكر حسن المعاشرة، جمع الفوائد وخرج التخاريج، لعله ما بقي جزء مروي إلا وقد قرأه وحصل نسخته، ونسخ الكتب الكبار، مثل الطبقات لابن سعد، وتاريخ الخطيب؛ وكان متفرغًا للحديث: إما أن يقرأ عليه، أو ينسخ شيئًا---؛ وقال ابن ناصر:000ولم يتزوج قط؛ وقال ابن الجوزي: كنت أقرأ عليه وهو يبكي،

نظر يونس بن عبيد إلى قدميه عند موته فبكى فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: قدماي لم تغبرّا في سبيل الله عز وجل. 271

قال أبو معشر: رأيت أبا حازم – لما يقص في المسجد ويبكي – يمسح بدموعه وجهه فقلت: يا أبا حازم لم تفعل هذا؟! قال: بلغني أن النار لا تصيب موضعًا أصابته الدموع من خشية الله تعالى. 272

قال أبو هارون: كان [عون بن عبد الله] يحدثنا وللحيته رش بالدموع. 274

طلبَ ابنُ أخي[48] محمدٍ بنِ سوقةَ منه شيئًا فبكى فقال له: والله يا عم لو علمتُ أنَّ مسألتي تبلغُ منكَ هذا ماسألتُك، قال: ما بكيتُ لسؤالِكَ إنما بكيتُ لأني لم أبتديك قبلَ سؤالِك[49]. 276

سأل رجل عمران بن مسلم القصير فأعطاه وبكى، فقيل له: ما يبكيك وقد قضيت حاجته؟ قال: حيث أحوجته إلى مسألتي 277

فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وكان على طريقة السلف، انتفعت به ما لم أنتفع بغيره».

[48] كانت في الأصل «أخ».

[49] دخل محمد بن سوقة مكة ثمانين مرةً مِن بينِ حجةٍ وعمرة. «5/ 6»

قال عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك: بكى عمر بن عبد العزيز فبكت فاطمة فبكى أهل الدار لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء! فلما تجلت عنهم العبرة قالت له فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله عز وجل فريق في الجنة وفريق في السعير؛ ثم صرخ وغشي عليه. 280

قال مغيرة: كان إبراهيم التيمي يذكِّرُ في منزل أبي وائل فكان أبو وائل ينتفض انتفاض الطير. 283

بكى ثابت حتى كادت عينه تذهب[50] فجاءوا برجل يعالجها فقال: أعالجها على أن تطيعني، قال: وأي شيء؟ قال: على أن لا تبكي! قال: فما خيرهما إن لم تبكيا؟! وأبى أن يتعالج[51]. 285

---

[50] قال حماد بن زيد: رأيت ثابتًا البناني يبكي حتى أرى أضلاعه تختلف. «2/ 322»

[51] وفي رواية: قيل لثابت البناني: يقولون: ليس بعينك بأس إن لم تكثر البكاء، قال: فما أرجو بعيني؟! «2/ 323»

وفي رواية أخرى: اشتكى ثابت البناني عينيه فقال له الطبيب: اضمن لي خصلة تبرأ عيناك فقال: وما هي؟ قال: لا تبك، قال: وما خير في عين لا تبكي؟! «2/ 323»

قال ابن شوذب: كنت إذا رأيت هارون بن رئاب فكأنما أقلع عن البكاء. 287

قال سفيان بن عيينة: كان قيس بن مسلم يصلي حتى السحر ثم يجلس فيهيج البكاء ساعة بعد ساعة ويقول: لأمر ما خلقنا، لأمر ما خلقنا، لئن لم نأت الآخرة بخير لنهلكن. 288

قال سفيان بن عيينة: زار قيس بن مسلم محمد بن جحادة ذات ليلة، فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء ومحمد قائم يصلي، فقام قيس بن مسلم في الناحية الأخرى يصلي، فلم يزالا على ذلك حتى طلع الفجر، وكان قيس بن مسلم إمام مسجده، فرجع إلى الحي فأمهم ولم يلتقيا ولم يعلم محمد بمكانه؛ فقال له أهل المسجد: زارك أخوك قيس بن مسلم البارحة فلم تنفتل إليه! قال: ما علمت بمكانه، فغدا عليه فلما رآه قيس بن مسلم مقبلًا قام إليه فاعتنقه ثم خلوا جميعًا فجعلا يبكيان[٥٢]. 289

[٥٢] كان محمد بن جحادة من العابدين وكان يقال: إنه لا ينام من الليل إلا أيسره، فرأت امرأة من جيرانه كأن عليه [لعل هذه اللفظة زائدة] حللًا فرقت على أهل مسجدهم فلما انتهى الذي يفرقها إلى محمد بن جحادة دعى بسفط مختوم فأخرج حلة خضراء

قال سفيان: عمرو بن قيس هو الذي أدبني وعلمني قراءة القرآن وعلمني الفرائض فكنت أطلبه في سوقه، فإن لم أجده في سوقه وجدته في بيته: إما يصلي وإما يقرأ في المصحف، كأنه يبادر أمورًا تفوته، فإن لم أجده في بيته وجدته في بعض مساجد الكوفة في زاوية من بعض زوايا المسجد، كأنه سارق، قاعدًا يبكي، فإن لم أجده وجدته في المقبرة قاعدًا ينوح على نفسه؛ فلما مات عمرو بن قيس أغلق أهل الكوفة أبوابهم وخرجوا بجنازته---". 290

قال زائدة بن قدامة: كان منصور بن المعتمر إذا رأيته قلت: رجل قد أصيب بمصيبة، منكس الطرف منخفض الصوت رطب العينين إن حركته جاءت عيناه بأدمع، ولقد قالت له أمه يومًا: ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي الليل عامته لا تكاد تسكت؟! لعلك يا بني أصبت نفسًا؟! لعلك قتلت قتيلًا؟! قال فيقول: يا أماه أنا أعلم ما صنعت بنفسي. 292

قالت: لم يقم لها بصري؛ قالت: فكساه إياها وقال: هذه لك بطول السهر، قالت تلك المرأة: فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأتخايلها عليه تعني الحلة. «التهجد ص351».

قال زائدة: إنَّ منصورَ بنَ المعتمر صامَ ستينَ سنةً يقومُ ليلُها ويصومُ نهارُها[53]، وكان يبكي، فتقولُ له أمُّه: يا بُنيَّ قتلتَ قتيلًا؟! فيقولُ: أنا أعلمُ بما صنعتْ نفسي[54] فإذا كانَ الصبحُ كحلَ عينيهِ ودهنَ رأسَه وبرق[55] شفتيهِ، وخرجَ إلى الناس. 293

ذكر سفيان بن عيينة منصور بن المعتمر فقال: قد كان عمش من البكاء 294

قال هشيم: دخلنا على سيار أبي الحكم وهو يبكي فقلنا: ما يبكيك؟! قالَ: ما أبكى العابدين قبلي. 296

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا وكيع عن سفيان عن زكرياء العبدي عن ابراهيم النخعي أنه بكى في مرضه فقالوا له: يا أبا عمران ما يبكيك؟! قال: وكيف لا أبكي وأنا انتظر رسولًا من ربي يبشرني إما بهذه وإما بهذه 298

[53] وكذلك قال سفيان الثوري.

[54] في الأصل «بنفسي».

[55] في الأصل «وفرق»، وأثبتُّ ما في «سير أعلام النبلاء» «5/ 406».

قال سفيان بن عيينة: كان عمر بن عبد العزيز يومًا ساكتًا وأصحابه يتحدثون فقالوا له: ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟! قال: كنت مفكرًا في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها؛ ثم بكى. 299

قال يزيدُ بن ميسرة: البكاءُ مِن سبعةِ أشياءٍ: منَ الفرحِ والحزنِ والفزعِ والوجعِ والرياءِ والشكرِ، وبكاءٌ من خشيةِ الله، فذلك الذي تطفئُ الدمعةُ منه أمثالَ الجبالِ من النار[٥٦]. 300

---

[٥٦] بكاء المؤمن أنواع كثيرة: بكاء الخوف من الله وبكاء الحياء من الله وبكاء الندم على المعاصي وبكاء التقصير في الطاعات وبكاء الخوف من سوء الخاتمة وبكاء الخوف مما قد سبق عليه في علم الله وتقديره، وبكاء الشكوى من الباطل وأهله، وبكاء الغربة، وبكاء الحزن على أحوال المسلمين وأهل الحق، وبكاء الشوق إلى لقاء الله، وبكاء الشوق إلى الجنة وأهلها، وبكاء خوف الحرمان، وبكاء الحرمان من مراتب من الخير والفضل، وبكاء التعظيم لله، وبكاء الشعور بالعجز عن طاعة الله، وغير ذلك من أنواع البكاء، نسأل الله أن يوفقنا إلى العلم به وإلى طاعته وأسباب مرضاته.

وعن أبي إسحاق الفزاري قال: سمعت سفيان الثوري يقول: البكاء عشرة أجزاء تسعة لغير الله وواحد لله فاذا جاء الذي لله في السنة مرة فهو كثير. «7/ 11»

وقال ابن القيم في «زاد المعاد» «1/ 184-185»:

«والبكاء أنواع:

أحدها: بكاء الرحمة والرقة.

والثاني: بكاء الخوف والخشية.

والثالث: بكاء المحبة والشوق.

والرابع: بكاء الفرح والسرور.

والخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله.

والسادس: بكاء الحزن.

والفرق بينه وبين بكاء الخوف أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب وبكاء الخوف يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك.

والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء الحزن أن دمعة السرور باردة والقلب فرحان ودمعة الحزن حارة والقلب حزين؛ ولهذا يقال لما يُفرح به: هو قرة عين، وأقر الله به عينه، ولما يُحزِن: هو سخينة العين، وأسخن الله عينه به.

والسابع: بكاء الخور والضعف.

والثامن: بكاء النفاق، وهو أن تدمع العين والقلب قاس، فيظهر صاحبه الخشوع وهو من أقسى الناس قلبًا.

والتاسع: البكاء المستعار والمستأجر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة، فإنها كما قال عمر بن الخطاب: تبيع عبرتها وتبكي شجو غيرها.

والعاشر: بكاء الموافقة، وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر ورد عليهم فيبكي معهم ولا يدري لأي شيء يبكون ولكن يراهم يبكون فيبكي.

وما كان من ذلك دمعًا بلا صوت فهو «بكى»، مقصور؛ وما كان معه صوت فهو «بكاء»، ممدود، على بناء الأصوات؛ وقال الشاعر:

بكت عيني وحق لها بكاها وما يغني البكاء ولا العويل

قال الربيع بن صبيح: كنا عند الحسن فوعظ فانتحب رجل فقال الحسن: أما والله ليسألنك الله عز وجل يوم القيامة: ما أردت بهذا؟! 302

سألَ عبّادٌ شميطَ بنَ عَجلان: هل يبكي المنافقُ؟ فقالَ: يبكي من رأسِهِ، فأما قلبُهُ فلا. 304

وما كان منه مستدعى متكلفًا فهو التباكي؛ وهو نوعان: محمود ومذموم، فالمحمود: أن يُستجلَبَ لرقة القلب ولخشية الله لا للرياء والسمعة، والمذموم أن يُجْتَلَب لأجل الخلق».

التوكل[57]

---

[57] من خصائص المؤمنين أنهم يتوكلون على الله في عامة أحوالهم، ولكن كلما اشتد عليهم الأمر وضاقت عليهم السبل كان توكلهم أعظم وأكمل؛ ثم يكون ذلك التوكل سببًا في زيادة إيمانهم، بحسبه، قال الله تعالى: «ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانًا وتسليما» [الأحزاب]؛ وقال تعالى: «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم» [آل عمران]؛ وقال تعالى: «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون» [الأنفال].

ولا يصح في العقل فضلًا عن الشرع أن يتوكل المرء على من لا يعلم حاله ولا على من لا يرحمه ولا على من لا يقدر على نصرته وتحقيق غايته وتسهيل طلبته، وكذلك لا يستقيم شرعًا ولا عقلًا التوكلُ على من لا يدفع عن نفسه موتًا ولا مرضًا ولا يسمع الدعاء ولا يعلم بالشكوى؛ ولذا قال تعالى: «وتوكل على الحي الذي لا يموت» [الفرقان]؛ وقال تعالى: «وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [الشعراء 217-219]؛ وقال تعالى: «وعلى الله فليتوكل المؤمنون» [إبراهيم]؛ وقال تعالى: «فإذا عزمت فتوكل على الله» [آل عمران]؛

وقال تعالى: «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» [الطلاق]، أي كافيه؛ والآيات في فضل التوكل كثيرة معروفة.

وأما الأحاديث فكثيرة أيضًا وفيما يلي بعضها:

فالأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت منهم؛ ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة»؛ متفق عليه.

والرهيط بضم الراء تصغير رهط وهم دون عشرة أنفس والأفق الناحية والجانب وعكاشة بضم العين وتشديد الكاف وبتخفيفها والتشديد أفصح.

الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما، أيضًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا تموت والجن والإنس يموتون». متفق عليه؛ وهذا لفظ مسلم واختصره البخاري.

الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل». رواه البخاري.

وفي رواية له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان آخر قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار: «حسبي الله ونعم الوكيل».

الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير»؛ رواه مسلم.

قيل: معناه متوكلون؛ وقيل: قلوبهم رقيقة.

الخامس: عن جابر رضي الله عنه أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم قِبَل نجد؛ فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معهم، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه؛ فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رسول

الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه، ونمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: «إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فلستيقظت وهو في يده صلتًا، قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله؛ ثلاثًا، ولم يعاقبه؛ وجلس»؛ متفق عليه.

وفي رواية: قال جابر: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال: تخافني؟ قال: لا؛ قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله.

قال النووي في «رياض الصالحين»: «قوله «قفل» أي رجع؛ والعضاه: الشجر الذي له شوك؛ والسمرة، بفتح السين وضم الميم: الشجرة من الطلح، وهي العظام من شجر العضاه؛ واخترط السيف: أي سله، وهو في يده صلتًا: أي مسلولًا، وهو بفتح الصاد وضمها».

السادس: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت؛ فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة؛ وإن أصبحت أصبت خيرًا»؛ متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين عن البراء قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل--- [وذكر نحوه ثم قال:] واجعلهن آخر ما تقول».

السابع: عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار، وهم على رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا؛ فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟»؛ [متفق عليه].

وقال ابن القيم في «الفوائد» «ص86-87»:

«التوكل على الله نوعان:

أحدهما: توكلٌ عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

والثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه.

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله.

فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية.

ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضًا، لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه.

فأعظم التوكل عليه: التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم.

والتوكل تارة يكون توكل اضطرار والجاء بحيث لا يجد العبد ملجأ ولا وزَرًا إلا التوكل كما إذا ضاقت عليه الأسباب وضاقت عليه نفسه وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وهذا لا يتخلف عنه الفرج والتيسير البتة.

وتارة يكون توكل اختيار، وذلك [هو] التوكل مع وجود السبب المفضي إلى المراد.

فإن كان السبب مأمورًا به ذم على تركه [أي ترك السبب]، وإن قام بالسبب وتركَ التوكل ذم على تركه أيضًا [أي ترك التوكل]، فإنه واجب باتفاق الأمة ونص القرآن، والواجب القيام بهما والجمع بينهما.

وإن كان السبب محرمًا حرم عليه مباشرته وتوحد السبب في حقه في التوكل فلم يبق سبب سواه، فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع المكروه، بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق.

وإن كان السبب مباحًا نظرتَ هل يُضْعِفُ قيامُك به التوكلَ أو لا يضعفه، فإن أضعفه وفرق عليك قلبَك وشتَّت همَّك فتركه أولى؛ وإن لم يضعفه فمباشرته أولى لأن حكمة أحكم الحاكمين اقتضت ربط المسبَّب به فلا تعطل حكمته مهما أمكنك القيام بها ولا سيما إذا فعلتَه عبودية، فتكون قد أتيت بعبودية القلب بالتوكل، وعبودية الجوارح بالسبب المنوي به القربة.

والذي يحقق التوكل القيام بالأسباب المأمور بها فمن عطلها لم يصح توكله، كما أن القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يحقق رجاءه فمن لم يقم بها كان رجاؤه تمنيًا، كما أن من عطلها يكون توكله عجزًا وعجزه توكلًا [كذا هذه العبارة الأخيرة].

وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب علي الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله "توكلت على الله" مع

أصاب محمد بن كعب القرظي مالًا فقيل له: ادخر لولدك من بعدك! قال: لا ولكن ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي. 308

قال عباد بن منصور: سئل الحسن عن التوكل فقال: الرضا عن الله. 311

قال عامرٌ بن عبد قيس التميمي لابنَي عم له: فوِّضا أمركما إلى الله تستريحا. 313

قيل لأبي حازم: يا أبا حازم ما مالُك؟ قال: ثقتي بالله تعالى وإياسي مما في أيدي الناس. 319

جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال: علمني شيئًا ينفعني الله به؛ قال: أكثرْ من ذكر الموت واقصر أملك، وخصلة ثالثة إن أنت أصبتها بلغتَ الغاية القصوى وظفرتَ بالعبادة؛ قال: ما هي؟ قال: التوكل. 322

اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به؛ فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء؛ كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء؛ فقول العبد "توكلت على الله" مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله «تبت إلى الله» وهو مصر على معصيته مرتكب لها». انتهى كلام الإمام ابن القيم.

قال أبو العالية: إن الله تعالى قضى على نفسه أن من آمن به هداه؛ وتصديق ذلك في كتاب الله «وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» [٥٨]، ومن توكل عليه كفاه، وتصديق ذلك في كتاب الله «وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» [٥٩]، ومن أقرضه جازاه، وتصديق ذلك في كتاب الله «مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً» [٦٠]؛ ومن استجار من عذابه أجاره، وتصديق ذلك في كتاب الله «وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا» [٦١]، والاعتصام الثقة بالله، ومن دعاه أجابه، وتصديق ذلك في كتاب الله «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» [٦٢]. 324

[٥٨] التغابن «11».

[٥٩] الطلاق «3».

[٦٠] البقرة «245».

[٦١] آل عمران «103».

[٦٢] البقرة «186».

الرجاء

قال الحسن: إن الله تعالى لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعييرًا لهم، ولكن لئلا تقنطوا من رحمته؛ قال ابن الجوزي: يعني الحسن أن الحجة للأنبياء ألزم فإذا قبل التوبة منهم كان إلى قبولها منكم أسرع.

325

قال مطَرِّف بن عبد الله بن الشخّير: إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن وأعرض عملي على عمل أهل الجنة، فإذا أعمالهم شديدة، «كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ» [٦٣]، «يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا» [٦٤]، «أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا» [٦٥] فلا أراني فيهم، فأَعرِضُ نفسي على هذه الآية «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ» [٦٦] فأرى القوم

[٦٣] الذاريات «17».

[٦٤] الفرقان «64».

[٦٥] الزمر «9».

[٦٦] المدثر «42».

مكذبين[٦٧]، وأمرُّ بهذه الآية «وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا»[٦٨] فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم. 326

قال الحسن البصري: الرجاء والخوف مطيتا المؤمن. 328

قال مطرف: لو جيء بميزان تَرِيصٍ [٦٩] «محكم» فوزن خوف المؤمن ورجاؤه كانا سواء يذكر رحمة الله فيرجو ويذكر عذاب الله فيخاف. 329

قال محمد بن مطرف: دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت فقلنا: يا أبا حازم كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير أجدني راجيًا الله حسَنَ الظن به، إنه والله لا يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها

---

[٦٧] يعني فهو ليس منهم.

[٦٨] التوبة «102»، وتمامها «عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ».

[٦٩] قال ابن قتيبة في «غريب الحديث» « 3/ 755»: «جاء في الحديث: لو وزُن رَجاءُ المُؤِمن وخَوْفُه بميزان تريصمازادَ أَحدُهما على الآخر. التَّرِيص: المُحْكَمْ؛ يقال: أَتْرَصْت الشيء إذا أَحكمته وأَجدت عَمَله. قال ذوُ الإصْبع يذكر سِهامًا: من المنسرح:

تَرَّص أَفواقَها وقَومَّها أَنْبَلُ عَدْوان كلّها صَنَعا

أَنْبَلَ: أحَذَقَ».

فيقوم لها وتقوم له ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب. 330

ذكر عبد الله بن مسلم بن يسار أن أباه كان يكره أن يمس ذكره بيمينه ويقول: إني لأرجو أن آخذ كتابي بيميني. 332

قال ابن عون: ما رأيت أحدًا كان أعظم رجاء للموحدين من محمد بن سيرين، كان يتلو هؤلاء الآيات[٧٠]: «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ»[٧١] ويتلو «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ»[٧٢] ويتلو «لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى»[٧٣]. 333

قال معاذ بن معاذ: ما رأيت أحدًا أعظمَ رجاءً لأهل الاسلام من ابن عون، لقد ذُكر له الحجاج وأنا شاهد فقيل: إنهم يزعمون أنك

---

[٧٠] مستدلًا على رجائه لأهل التوحيد بأنهم ليسوا من الأصناف المذكورة في هذه الآيات.

[٧١] الصافات «35».

[٧٢] المدثر «42-47».

[٧٣] الليل «15-16».

تستغفر للحجاج! فقال: ما لي لا أستغفر للحجاج من بين الناس؟! وما بيني وبينه؟! وما كنت أبالي أن أستغفر له الساعة! قال معاذ: وكان إذا ذكر عنده الرجل بعيب قال: إن الله تعالى رحيم. 335

قال محمد بن كعب القرظي: الكبائر ثلاث: أن تأمنَ مكرَ الله، وأن تقنطَ من رحمة الله، وأن تيأسَ من روح الله، وتلا هذه الآيات «أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهّ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهّ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ»[٧٤]؛ «وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ»[٧٥]؛ وقال يعقوب عليه السلام لبنيه: «[وَ]لاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهّ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهّ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»[٧٦]. 338

عن جرير عن منصور عن إبراهيم قال: كانوا يقولون ويرجون إذا لقي الله الرجل المسلم وهو نقي الكف من الدم أن يتجاوز الله عنه ويغفر له ما سوى ذلك من ذنوبه. 339

[٧٤] الأعراف «99».

[٧٥] الحجر «56».

[٧٦] يوسف «87».

حسن الظن بالله

والإيمان بسعة رحمته وعِظم مغفرته

قال مجاهد: يؤمر بالعبد إلى النار يوم القيامة فيقول: ما كان هذا ظني، فيقال: ما كان ظنك؟ فيقول: أن تغفر لي، فيقول: خلوا سبيله. 343

كان أبو الجوزاء أوس بن عبد الله يقول: لو أن ناسًا من فقهائكموأغنيائكم انطلقوا إلى رجل فقيهٍ غنيّ فسألوه كوزًا من ماء أكان يعطيهم؟ قالوا: يا أبا الجوزاء ومن يمنع كوزًا من ماء؟! قال أبو الجوزاء: والله للهُ[٧٧] أجودُ بجنته من ذلك الرجل بذلك الكوز من ماء. 345

قال مسروق: إني أحسن ما أكون ظنًا [٧٨] حين يقول لي الخادم: ليس في البيت قفيز ولا درهم. 346

---

[٧٧] في الأصل «لا الله»، تحريف.

[٧٨] أي بالله تبارك وتعالى.

قال شملة بن هزال أبو الحروش البختري: سمعت الحسن في جنازة فيها الفرزدق والقوم، حافين[٧٩] بالقبر، يتذاكرون الموت، فقال الحسن: يا أبا فراس ما أعددت لهذا؟! قال: شهادة ألا إله إلا الله منذ ثمانين سنة فقال: اثبت عليها وأبشر أو نحو هذا. وفي رواية أخرى: فقال الحسن: نعمت العدة ونعمت العدة. 347

قال أبو موسى التيمي: توفيت النوار امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة وخرج فيها الحسن فقال الحسن للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم يا أبا فراس؟! قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة؛ قال: فلما دفنت قام على قبرها فقال:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني

أشد من القبر التهابًا وأضـيقا

إذا جاءني يوم القيامة قائـــد

عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى

[٧٩] حال.

إلى النار مغلول القلادة أزرقا[80] 348

قال المعتمر بن سليمان التيمي: قال أبي حين حضرته الوفاة: يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به. 350

عن حصين عن إبراهيم قال: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه. 351

عن سلام عن قتادة في قوله تعالى «إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ» [81] قال: غفر لهم الذنب العظيم وشكر لهم [العمل] اليسير. 352

---

[80] وهذه رواية أخرى:

لما ماتت النوار امرأة الفرزدق ودفنت وقف الفرزدق على قبرها وأنشد بحضور الحسن رحمه الله هذه الأبيات قال: [فذكرها وزاد]:

يساق إلى نار الجحيم مسربلًا سرابيـل قطران لباسًا محرقا

إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم يذوبون من حر الصديد تمزقا

فبكى الحسن رحمة الله عليه. «التخويف من النار ص121»

قرأ الحسن هذه الآية: «إِنَّ اللهَّ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم»[82] فقال: أنفس هو خلقها وأموال هو رزقها[83]!. 353

---

[81] قال تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهَّ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ؛ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ؛ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ؛ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ» [فاطر 32-35].

[82] التوبة «111».

[83] أي وهو مع ذلك يشتريهما، فضلًا منه وتكرمًا ورحمة؛ بل هو تعالى يقبلهما ممن يبذلهما لوجهه بإخلاص ولو كان فيهما من العيوب ما فيهما، بشرط أن لا يكون البذل معيبًا؛ فما أحسن قول ابن القيم في «الفوائد»: «فاشتر نفسك فالسوق قائمة والثمن موجود--»؛ وما أحسن قوله في «الفوائد» أيضًا: «سبحان الله، في النفس: كِبر إبليس وحسد قابيل وعتو عاد وطغيان ثمود وجرأة نمرود واستطالة فرعون، وبغي قارون، وقحة هامان وهوى بلعام وحيل أصحاب السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبي جهل؛ وفيها من أخلاق البهائم: حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجعل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الأسد، وفسوق الفأرة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الضبع؛ غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك؛ فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا

الجند، ولا تصلح سلعته لعقدِ «إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ [وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ]» [التوبة 111-112، ومابين الحاصرتين أنا زدته]؛ فما اشترى إلا سلعة هذبها الإيمان فخرجت من طبعها إلى بلد سكانه التائبون العابدون؛ سلم المبيع قبل أن يتلف في يدك فلا يقبله المشتري، قد علم المشتري بعيب السلعة قبل أن يشتريها، فسلمها ولك الأمان من الرد؛ قدر السلعة يعرف بقدر مشتريها والثمن المبذول فيها والمنادي عليها، فإذا كان المشتري عظيمًا والثمن خطيرًا والمنادي جليلًا كانت السلعة نفيسة.

يا بائعًا نفسه بيع الهوان لو استرجعت ذا البيع قبل الفوت لم تخب

وبائعًا طيب عيش ما له خطر ** بطيف عيش من الآمال منتهب

غبنت والله غبنًا فاحشًا ولدى * * *يوم التغابن تلقى غاية الحرب

وواردًا صفو عيش كله كدر * * * أمامك الورد حقًّا ليس بالكذب

وحاطب الليل في الظلماء منتصبًا* * لكل داهية تدني من العطب

ترجو الشفاء بأحداق بها مرض *فهل سمعت ببرء جاء من عطب

ومفنيًا نفسه في أثر أقبحهم * ** *وصفا للطخ جمال فيه مستلب

وواهبًا نفسه من مثل ذا سفها**لو كنت تعرف قدر النفس لم تهب

شاب الصبا والتصابي بعد لم يشب*وضاع وقتك بين اللهو واللعب

وشمس عمرك قد حان الغروب لها*والفيء في الأفق الشرقي لم يغب

وفاز بالوصل من قد جدَّ وانقشعت*عن أفقه ظلمات الليل والسحب

كم ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت*ورسل ربك قد وافتك في الطلب»

إلى أن قال:

«ما في الخيام أخو وجد يريحك إن*بثثته بعضَ شأن الحب فاغترب

وأسر في غمرات الليل مهتديًا * * بنفحة الطيب لا بالعود والحطب

وعاد أخي جبن ومعجزة * * * وحارب النفس لا تلقيك في الحرَب

وخذ لنفسك نورًا تستضيء به* يوم اقتسام الورى الأنوار بالرتب»

إلى أن قال: يا من هو من أرباب الخبرة، هل عرفت قيمة نفسك؟ إنما خلقت الأكوان كلها لك؛ يا من غذي بلبان البر وقلب بأيدي الألطاف، كل الأشياء شجرة وأنت

قال عبيد الله بن شميط: سمعت أبي ذكر المعاصي فأكبرها وأعظمها ثم قال: وإن كان كل ما عصيت به عظيمًا فإنه في سعة رحمتك صغير. 345

قال أبو عمران الجوني: كنت في جيش بالشام فجمع بيني وبين القاضي أمير الجند فحدثني القاضي عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: يجيء المؤمن يوم القيامة قد أخذ صاحب الدَّين فيقول: ديني على هذا، فيقول الله: أنا أحق من قضى عن عبدي، قال: فيرضي هذا من دينه ويعفو لهذا. 356

الثمرة، وصورة وأنت المعنى، وصدف وأنت الدر، ومخيض وأنت الزبْد----» إلى آخر كلامه رحمه الله.

وقال في موضع آخر من «الفوائد»:

إذا كان شيء لا يساوي جميعه ❋ جناح بعوض عند من صرتَ عبدَه

ويملك جزءٌ منه كلَّك ما الذي ❋ ❋ يكون على ذا الحال قدرُك عنده

وبعت به نفسًا قد استامها بها ❋ ❋ لديه من الحسنى وقد زال وده

لقي مالك بن دينار أبان بن أبي عياش فقال مالك: إلى كم تحدث الناس بالرخص؟! فقال: يا أبا يحيى إني أرجو أن ترى من عفو [الله] يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح. 357

قال عبد الله بن صالح العجلي: أبطأ عن علي بن الحسين أخ له كان يأنس به فسأله عن إبطائه فأخبره أنه مشغول بموت ابن له وأن ابنه كان من المسرفين على نفسه فقال له علي بن الحسين: إن من وراء ابنك ثلاث خلال: أما أولها فشهادة إلا إله إلا الله، وأما الثانية فشفاعة رسول الله، وأما الثالثة فرحمة الله التي وسعت كل شيء. 358

قال مورق: كان رجل يعمل السيئات وإنه خرج إلى البرية فجمع ترابًا فاضطجع عليه مستلقيًا فقال: يا رب اغفر لي ذنوبي فقال: إن هذا ليعرف أن له ربًا يغفر ويعذب فغفر له. 359

قال أبو عثمان النهدي: إنما جعلت الرحمة للذنوب. 361

قال محمد بن المنكدر: بينا أنا ذات ليلة أصلي إذ قلت: لو علمت أحب الأعمال إلى الله وأرضاها له أجهدت فيه نفسي فغلبتني عيناي

فأتيت في منامي فقيل لي: إنك تريد أمرا لا يكون، إن الله يحب أن يغفر. 363

قال مطر الوراق: تنجزوا موعود الله بطاعة الله فإنه قضى أن رحمته قريب من المحسنين. 364

عن سفيان عن مسعر عن عون بن عبد الله «وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا»[٨٤] قال: إني لأرجو أن لا يعيدكم الله إليها بعد أن أنقذكم منها. 366

عن محمد بن جابر قال: سمعت محمد بن المنكدر في قول الله : «هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ»[٨٥] قال: هل جزاء من أنعمت عليه بالإسلام إلا الجنة، هل جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة. 368

عن غالب القطان عن بكر بن عبد الله المزني في قوله «إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ»[٨٦] قال: ثُنْيا[٨٧] من ربنا على جميع القرآن. 369

---

[٨٤] آل عمران «103».

[٨٥] الرحمن «60».

قال بلالُ بن سعد: إنَّ لكم ربًّا ليسَ إلى عقابِ أحدِكم بسريعٍ، يُقيلُ العثرةَ، ويقبلُ التوبةَ، ويقبلُ من المقْبِلِ، ويعطفُ على المدبِرِ.

371

قال حبيب بن أبي ثابت: كان يقال: ائتوا اللهَ في بيته[٨٨] فإنه لمْ يُؤتَ مثلُه في بيتِه، ولا أحد أعرف بالحق[٨٩] من الله. 372

قال ابن أبي الدنيا: حدثني علي بن الجعد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال: كان عمر بن عبد العزيز يبغض الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت: اللهم اغفر لي فإنهم زعموا أنك لا تفعل؛ فحدثني غير علي بن الجعد أن ذلك بلغ الحسن البصري فقال: أقالها؟! قالوا: نعم، قال: عسى. 373

---

[٨٦] النساء «48».

[٨٧] أي استثناء.

[٨٨] يعني المسجد الحرام أو كل مسجد.

[٨٩] ومن ذلك حق الوافدين إليه الداخلين إلى بيوته في الأرض وهي المساجد.

جاء حبيب أبو محمد إلى خشبة ابن برجان وهو مصلوب فجعل يدعو له ويترحم عليه فقيل له: تدعو لابن برجان؟! قال: فلمن أدعو للحسن وابن سيرين؟! 377

قال الحسن: إن الله لا يجازي عبده بذنوبه؛ والله ما جازى الله عبدًا قط بالخير والشر إلا هلك؛ ولكن الله إذا أراد بعبد خيرًا أضعف له الحسنات وألقى عنه السيئات. 378

قال الحسن: انظروا إلى هذا الكرم والجود [90]: يقتلون أولياءه ويفتنونهم وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة! أُنظروا إلى كرم الرب

---

[90] أي في قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ» [البروج 10]؛ قال ابن القيم في «التبيان في أقسام القرآن» «ص57-59» في تفسير معنى القسم في سورة «البروج» بعد كلام ذكره:

«والأحسن أن يكون هذا القسم مستغنيًا عن الجواب لأن القصد التنبيه على المقسم به وأنه من آيات الرب العظيمة ويبعد أن يكون الجواب قتل أصحاب الأخدود الذين فتنوا أولياءه وعذبوهم بالنار ذات الوقود؛ ثم وصف حالهم القبيحة بأنهم قعود على جانب الأخدود شاهدين ما يجري على عباد الله تعالى وأوليائه عيانًا ولا تأخذهم بهم رأفة ولا رحمة ولا يعيبون عليهم دينًا سوى إيمانهم بالله العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والأرض وهذا الوصف يقتضي إكرامهم وتعظيمهم ومحبتهم فعاملوهم بضد ما يقتضي أن يعاملوا به؛ وهذا شأن أعداء الله دائمًا ينقمون على أوليائه ما ينبغي

أن يحَبّوا ويكرموا لأجله، كما قال تعالى «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ» [المائدة 59]؛ وكذلك اللوطية نقموا من عباد الله تنزيههم عن مثل فعلهم فقالوا: «أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ» [الأعراف 82].

وكذلك أهل الإشراك ينقمون من الموحدين تجريدهم التوحيد وإخلاص الدعوة والعبودية لله وحده.

وكذلك أهل البدع ينقمون من أهل السنة تجريد متابعتها وترك ما خالفها، وكذلك المعطلة ينقمون من أهل الاثبات إثباتهم لله صفات كماله ونعوت جلاله.

وكذلك الرافضة ينقمون على أهل السنة محبتهم للصحابة جميعهم وترضيهم عنهم وولايتهم إياهم، وتقديم من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وتنزيلهم منازلهم التي أنزلهم الله ورسوله بها.

وكذلك أهل الرأي المحدث ينقمون على أهل الحديث وحزب الرسول أخذهم بحديثه وتركهم ما خالفه وكل هؤلاء لهم نصيب وفيهم شبه من أصحاب الأخدود وبينهم وبينهم نسب قريب أو بعيد.

ثم أخبر سبحانه أنه أعد لهم عذاب جهنم وعذاب الحريق حيث لم يتوبوا، وأنهم لو تابوا بعد أن فتنوا أولياءه وعذبوهم بالنار لغفر لهم ولم يعذبهم وهذا غاية الكرم والجود؛ قال الحسن: انظروا إلى هذا الكرم والجود، يقتلون أولياءه ويفتنونهم وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، انظروا إلى كرم الرب تعالى يدعوهم إلى التوبة وقد فتنوا أولياءه فحرقوهم بالنار؛ فلا ييأس العبد من مغفرته وعفوه ولو كان منه ما كان، فلا عداوة أعظم من هذه العداوة، ولا أكفر ممن حرق بالنار من آمن بالله وحده وعبده

تعالى يدعوهم إلى التوبة وقد فتنوا أولياءه فحرقوهم بالنار! فلا ييأس العبد من مغفرته وعفوه ولو كان منه ما كان فلا عداوة أعظم من هذه العداوة ولا أكفر ممن حرق بالنار من آمن بالله وحده وعبده وحده ومع هذا فلو تابوا لم يعذبهم وألحقهم بأوليائه. 380

وحده ومع هذا فلو تابوا لم يعذبهم وألحقهم بأوليائه؛ ثم ذكر سبحانه جزاء أوليائه المؤمنين ثم ذكر شدة بطشه وأنه لا يعجزه شيء فإنه هو المبدىء المعيد ومن كان كذلك فلا أشد من بطشه وهو مع ذلك الغفور الودود، يغفر لمن تاب إليه ويوده ويحبه فهو سبحانه الموصوف بشدة البطش ومع ذلك هو الغفور الودود المتودد إلى عباده بنعمه الذي يود من تاب إليه وأقبل عليه وهو الودود أيضا أي المحبوب؛ قال البخاري في «صحيحه»: «الودود الحبيب»؛ والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين على كونه وادا لأوليائه ومودودا لهم فأحدهما بالوضع والآخر باللزوم فهو الحبيب المحب لأوليائه يحبهم ويحبونه؛ وقال شعيب عليه السلام: «إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ» [هود 90]؛ وما ألطف اقتران اسم الودود بالرحيم وبالغفور، فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه؛ وكذلك قد يرحم من لا يحب؛ والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه، ويرحمه ويحبه، مع ذلك، فإنه يحب التوابين وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان»؛ إلى آخر كلامه في تفسير هذه السورة العظيمة؛ وأنا استرسلت في نقل هذا الكلام وإن ضعف ارتباط أكثره بما نحن بصدده، لأني أرى أن قوة الكلام المنقول تغني في كثير من الأحيان عن قوة مناسبته للمقام، وأحسب أن حسن معناه يخفف كثيرًا من ثقل طوله؛ نفعني الله وإياك بما نقول وننقل وبما نسمع ونجمع، اللهم آمين.

قال الحسن: كانوا يرجون في حمّى ليلة كفارة لما سلف من الذنوب. 382

دعي الحسن إلى طعام فنظر إلى فرقد وعليه جبة صوف[91] فقال: يا فرقد لو شهدتَ الموقف لخرَّقتَ ثيابَك[92] مما ترى من عفو الله تعالى[93].

383

---

[91] وكأن الحسن رأى أنه قد غلب على حال فرقد شدة الخوف والحزن، غلبة ضعُف معها رجاؤه.

[92] أي فرحًا.

[93] وتكميلًا للآثار التي أوردتها في هذه الأبواب الأربعة أنقل هنا ما انتقيته من كتاب «حسن الظن بالله» لابن أبي الدنيا، مما لم يتقدم ذكره:

عن خلف بن تميم قال قلت لعلي بن بكار: ما حسن الظن بالله؟ قال لا يجمعك والفجار في دار واحدة. ص25

عن سليمان بن الحكم بن عوانة أن رجلًا دعا بعرفات فقال: لا تعذبنا بالنار بعد أن أسكنت توحيدك قلوبنا، قال: ثم بكى وقال: ما إخالك تفعل بعفوك، ثم بكى وقال: ولئن فعلت فبذنوبنا لتجمعن [لعلها لا تجمعن] بيننا وبين قوم طال ما عاديناهم فيك. ص25

قال أبو حفص الصيرفي: بلغني أن عمر بن ذر كان إذا تلا: «وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ» [النحل 38] قال: ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت؛ أتراك تجمع بين القسمين في دار واحدة؛ وبكى أبو حفص بكاء شديدًا. ص27

عن منصور بن الحجاج قال: قال عمر بن ذر إن لي في ربي جل وعز أملين: أملًا أن لا يعذبني بالنار، فإن عذبني لم يخلدني فيها مع من أشرك به. ص28

حدثني أحمد بن محمد بن البراء البجلي قال أخبرت أن عمر بن ذر لما حج اجتمع الناس إليه فقالوا: يا أبا ذر ادعُ بدعوة، فقال: نعم، اللهم ارحم قومًا لم يزالوا مذ خلقتهم على مثل ما كانت عليه السحرة يوم رحمتهم؛ [قلت: يعني التوحيد]. ص27

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو جعفر المؤدب أحمد بن بشر بن الحارث في جنازة بشر بن الحارث قال: حدثنا عطاء بن المبارك قال: قال بعض العُبّاد: لما علمت أن ربي يلي محاسبتي زال عني حزني لأن الكريم إذا حاسب عبده تفضل. ص40

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن يحيى بن أبي حاتم الأزدي قال: سألت عبد الله بن داود عن التوكل؟ فقال: أرى أن التوكل حسن الظن. ص40

قال ابن أبي الدنيا: حدثني سلمة بن شبيب حدثنا بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول: من حسن ظنه بالله ثم لا يخاف الله فهو مخدوع. ص40

عن محمد بن أبان عن حميد قال: كان لي ابن أخت مرهق فمرض فأرسلت إليَّ أمه فأتيتها فإذا هي عند رأسه تبكي فقال: يا خالي ما يبكيها؟ قلت: ما تعلم منك، قال: أليس إنما ترحمني؟ قلت: بلى قال: فإن [الله] أرحم بي منها---. ص45

عن إدريس بن عبد الله المروزي قال: مرض أعرابي فقيل له: إنك تموت، [قال] وأين أذهب؟ قالوا: إلى [الله] قال فما كراهتي أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه. ص46

قال ابن أبي الدنيا: حدثني مفضل بن غسان عن أبيه قال: احتضر النضر بن عبد الله بن حازم فقيل له: أبشر، فقال: والله ما أبالي أمت أم ذُهب بي إلى الأبلة؛ والله ما أخرج من سلطان ربي إلى غيره ولا نقلني من حال قط إلى حال إلا كان ما نقلني إليه خيرًا مما نقلني عنه. ص46

عن الأعمش عن أبي سعيد عن أبي الكنود قال: مر عبد الله على قاص يذكر النار فقال: يا مذكِّر لِمَ تقنط الناس؟! ثم قرأ «[قُلْ] يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ» [الزمر 53]. ص61

عن إسرائيل عن ثوير عن أبيه عن علي قال: أحب آية في القرآن إليَّ: «إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا» [النساء 48]. ص62

عن عون بن عبد الله قال: قال عبد الله: ليغفرن [الله] يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر. ص75

عن يونس بن عبيد عن محمد بن سيرين قال: قال علي عليه السلام: أي آية في القرآن أوسع؟ فجعلوا يذكرون آيًا من القرآن «وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غَفُورًا رَّحِيمًا» [النساء 110]، أو نحوها، فقال علي: ما في القرآن آية أوسع من «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» [الزمر 53]. ص77

عن جرير عن منصور عن الشعبي عن شتير قال: سمعت عبد الله يقول: إن أكبر آية في القرآن فرجًا آية في سورة الغرف ««قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ» [الزمر 53]؛ فقال مسروق: صدقت. ص79

عن إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لو أدخلني الله النار فصرت فيها ما أيسته. ص95

عن الفضيل بن عياض عن سليمان عن خيثمة قال: قال عبد الله: والذي لا إله غيره ما أعطيَ عبدٌ مؤمنٌ شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله؛ والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه ظنه ذلك بأن الخير في يده. ص96

عن عاصم بن بهدلة قال: لا تذهب الدنيا حتى يقوم البكاؤون: باك يبكي على دينه، وباك يبكي على دنياه؛ فأحسنهم حالًا أحسنهم ظنًا بالله. ص96

عن بكر بن سليمان الصواف قال: دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قبض فيها؛ فقلنا: يا أبا عبد الله كيف تجدك؟ قال: ما أدري ما أقول لكم، إلا أنكم ستعاينون غدًا من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب، قال: ثم ما برحنا حتى أغمضناه. ص96

عن شهر بن حوشب قال: لما أري إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض رأى رجلًا يعصي الله، فدعا عليه، ثم آخر، ثم آخر، فدعا عليهم، فهلكوا؛ فنودي: يا صاحب الدعوة إني قد خلقت ابن آدم لثلاث: أخرج منه ذرية يعبدوني وتلا «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» [الروم 19]؛ أو يتوب إليّ ما بينه وبين الهرم فأتوب عليه، ولا تأخذني عجلة العباد؛ أو يتمادى فالنار من ورائه. ص97

قال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال ابن السماك: --- ولقد فكرت في طاعة المطيعين فوجدت رحمتك متقدمة لطاعتهم، ولولا ذلك لما وصلوا إليها، فنسألك بالرحمة المتقدمة للمطيعين قبل طاعتهم لما مننت بها على العاصين بعد معصيتهم. ص98

عن خزيمة أبي محمد العابد قال: كان عمر بن ذر يقول: اللهم ارحم قومًا أطاعوك في أحب طاعتك إليك: الإيمان بك والتوكل عليك، وارحم قومًا أطاعوك في ترك أبغض المعاصي إليك: الشرك بك والافتراء عليك، قال: فكان بعضهم يقول: إن كان كل ما عصي الله به عظيمًا فإنه في سعة رحمته صغير. ص98

عن صالح المري عن شيخ من أهل البصرة قال: قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام [كذا]: إن ها هنا رجلًا قد خولط ولم يكن بحاله بأس فظننا أنه أذنب ذنبًا يرى في نفسه أن ذلك الذنب لا يغفر له فصار إلى ما ترى، قال: عليَّ به فأدخل عليه، فقال: اسمع ما أقول لك، إن الذي أدرك منك عدوُّك بقنوطك من رحمة الله أعظم من ذنبك الذي أذنبت، فقال الرجل: هاه، فأفاق. ص100

عن زهير بن معاوية قال: سمعت أبا شيبة الزبيدي يقول: خِفْت نفسي ورجوت ربي، فأنا أحب أن أفارق من أخاف إلى من أرجوه. ص100

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا عبد الله بن محمد بن إسماعيل المقرئ قال: لما احتضر بشر بن منصور السليمي ضحك وقال: أخرج من بين ظهراني من أخاف فتنته وأقدم على من لا أشك في رحمته؛ وأخبرني عبد الله قال: قيل له: أوص بدَينك قال: أنا أرجو ربي لذنبي، لا أرجوه لدَيني، فلما مات قضى عنه دينه بعض إخوانه. ص100

قال ابن أبي الدنيا: أنشدني أحمد بن العباس النمري:

وإني لأرجو اللهَ حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع

ص100

عن داود بن أبي هند قال: تمثل معاوية عند الموت:

هو الموت لا منجا من الموت والذي نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

ثم قال: اللهم فأقل العثرة وعاف من الزلة وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ولم يثق إلا بك، فإنك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئة مهرب إلا أنت؛ قال: فبلغني أن هذا القول بلغ سعيد بن المسيب فقال: لقد رغب إلى من لا مرغوب إليه مثله، وإني لأرجو ألا يعذبه. ص106

عن أبي المنذر الكوفي أن معاوية جعل يقول وهو في الموت: إن تناقش يكن نقاشك يا رب عذابًا لا طوق لي بالعذاب، أو تجاوز فأنت رب رحيم عن مسيء ذنوبه كالتراب.

ص106

قال ابن أبي الدنيا: أخبرنا أبو علي الحسين بن عبد الرحمن أنشدني أبو عمران السلمي:

وإني لآتي الذنب أعرف قدره*****وأعلم أن الله يعفو ويغفر

لئن عظَّم الناسُ الذنوب فإنها**وإن عظمت في رحمة الله تصغر

ص106

عن عبد الواحد بن زيد قال: قلت لزياد النميري: ما منتهى الخوف؟ قال: إجلال الله عن مقام السوءات، قال: قلت: فما منتهى الرجاء؟ قال: تأميل الله على كل الحالات.

ص111

قال أبو محمد أزهر: دخلنا على جعفر بن سليمان نعوده في مرضه فقال: ما أكره لقاء ربي. ص113

عن عبد الله بن الفرج قال: قال فتح الموصلي: كبرت عليَّ خطاي وكثرت حتى لقد آيستني من عظيم عفو الله؛ ثم قال: وأنّى آيس منك وأنت الذي جدت على السحرة بعد أن غدوا كفرة فجرة؟! وأنَّى آيس منك وأنت ولي كل نعمة وخير؟! وأنى آيس منك وأنت المغيث عند الكرب؟! فلم يزل يقول: وأنى آيس منك حتى سقط مغشيًا عليه. ص114

عن سفيان بن عيينة عن داود بن شابور: قال لقمان لابنه: يا بني خف الله خوفًا يحول بينك وبين الرجاء، وارجه رجاء يحول بينك وبين الخوف؛ قال: فقال: أي أبه إنما لي قلب واحد إذا ألزمته الخوف شغله عن الرجاء، وإذا الزمته الرجاء شغله عن الخوف!! قال: أي بني إن المؤمن له قلب كقلبين يرجو الله بأحدهما ويخافه بالآخر. ص115

قال ابن أبي الدنيا: أنشدني محمود الوراق:

حسن ظني بحسن عفوك يا*****رب جميل وأنت مالك أمري

صنت سري عن القرابة والأهل*****جميعًا وكنت موضع سري

ثقة بالذي لديك من الستر*****فلا تخزني يوم نشري

يوم هتك الستور عن حجب الغيب*****فلا تهتكن للناس ستري

لقّني حجتي وإن لم تكن يا رب*****لي حجة ولا وجه عذر

ص116

عن عباد بن العوام عن سفيان الثوري «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ» [النحل 99]، قال: ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر. ص117

عن يوسف بن أسباط قال: سمعت سفيان الثوري يقول: «وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [البقرة 195] قال: أحسنوا بالله الظن. ص117

عن قيس بن الربيع قال: سمعت زيد بن علي يقول: إنما سمى نفسه المؤمن لأنه آمنهم من العذاب. ص117

انتهى النقل من كتاب «حسن الظن» وأردفها بهذه الآثار الثلاثة الداخلة في باب حسن الظن أيضًا، وهي من كتاب «الشكر» لابن أبي الدنيا:

عن القاسم بن عثمان الدمشقي قال: قلت ليمان بن معاوية الأسود العابد: رأيت إبراهيم بن أدهم؟ فضحك وقال: وأكبر من إبراهيم، قلت: من؟ قال: سفيان الثوري، ثم قال: سمعت أخي سفيان بن سعيد الثوري يقول: ما كان الله لينعم على عبد في الدنيا فيفضحه في الآخرة وحق على المنعم أن يتم على من أنعم عليه. «الشكر ص49»

قلت: إن صح هذا الخبر عن سفيان فلا شك أنه يريد به نعمة التوبة والطاعة وستر الذنوب ونحو ذلك؛ وأما نعمة المال والصحة ونحوهما فليست مرادة له هنا قطعًا.

عن أحمد بن أبي الحواري قال: قلت لأبي معاوية الأسود: يا أبا معاوية ما أعظم النعم علينا في التوحيد نسأل الله أن لا يسلبناه؟ قال: يحق على المنعم أن يتم على من أنعم عليه. «الشكر ص49»

عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت محمد بن إسحاق من أهل عكا قال: سمعت أبا معاوية الأسود اليمان العابد يقول: الله أكرم من أن ينعم بنعمة إلا أتمها أو يستعمل بعمل إلا قبله. «الشكر ص49»

شُكْرُ النعمة

قال طاوس: إذا أنعم الله عز وجل على عبد نعمةً ثم جعل إليه حوائج الناس، فإن صبر واحتمل، وإلا عرَّض تلك النعمة للزوال. 386

قال سليمان التيمي: إن الله أنعم على العباد على قدره وكلفهم الشكر على قدرهم. 389

قال بكر بن عبد الله المزني: ما قال عبد: الحمد لله، إلا وجبت عليه نعمة بقوله: الحمد لله، قال: فما جزاء تلك النعمة؟ قال: جزاؤها أن تقول: الحمد لله، فجاءت نعمة أخرى، فلا تنفذ نعم الله عز وجل. 390

قال وهب بن منبه: مكتوب في حكمة آل داود: العافية الملك الخفي. 391

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد «إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» [٩٤] قال: لم يأكل شيئًا قط إلا حمد الله ولم يشرب شرابا قط إلا حمد الله ولم يمس شيئا قط إلا حمد الله عليه ولم يبطش بشيء قط إلا حمد الله عليه فأثنى عليه انه كان عبدًا شكورًا 392

عن هشام بن سعد سمعت محمد بن كعب قال: كان نوح عليه السلام إذا أكل قال: الحمد لله وإذا شرب قال: الحمد لله وإذا ركب قال: الحمد لله فسماه الله عبدا شكورًا. 393

قال رجل من قيس يكنى أبا عبد الله: بينا أنا ذات ليلة عند الحسن فقام من الليل يصلي فلم يزل يردد هذه الآية حتى أسحر: «وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا» [٩٥] فلما أصبح قلنا: يا أبا سعيد لم تكن تجاوز هذه الآية سائر الليلة! قال: إن فيها معتبرًا، ما ترفع طرفًا ولا ترد إلا وقع على نعمة، وما لا نعلم من نعم الله أكثر وكذلك تفس الإنسان «الشهيق والزفير» ودقات القلب.. الخ. 394

قال الحسن: أكثروا ذكر هذه النعم، فإن ذكرها شكر. 395

---

[٩٤] الإسراء «3»، والموصوف هو نبي الله نوح صلى الله عليه وسلم.

[٩٥] إبراهيم «34».

قال عمر بن عبد العزيز: ذكر النعم شكر. 396

قال شيبان: كان الحسن إذا جلس مجلسًا يقول: لك الحمد بالإسلام ولك الحمد بالقرآن ولك الحمد بالأهل والمال بسطت رزقنا وأظهرت أمتنا وأحسنت معافاتنا ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا فلك الحمد كثيرًا كما تنعم كثيرًا؛ أعطيتَ خيرًا كثيرًا، وصرفت شرًا كثيرًا فلوجهك الجليل الباقي الدائم الحمد، الحمد لله رب العالمين[٩٦]. 398

عن يوسف الصباغ عن الحسن قال: قال موسى عليه السلام: يا رب كيف يستطيع آدم أن يؤدي شكر ما صنعته إليه؟! خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك وأسكنته جنتك وأمرت الملائكة فسجدوا

---

[٩٦] أصلحت موضعين من هذا الأثر اعتمادًا على طبعة ياسين السواس وعلى «عدة الصابرين»؛ وإليك رواية أخرى مقاربة لهذه:

عن عبد الواحد بن صفوان قال: سمعت الحسن إذا قعد في مجلسه قال: اللهم لك الحمد بما بسطت في رزقنا وأظهرت أمننا وأحسنت معافاتنا ومن كل ما سألناك من صالح أعطيتنا فلك الحمد بالإسلام ولك الحمد بالأهل والمال ولك الحمد باليقين والمعافاة. «الشكر ص68»

له؟! فقال: يا موسى علم أن ذلك مني فحمدني فكان ذلك شكرًا لما صنعته له. 400

قال علي بن زيد بن جدعان: كنا عند الحسن البصري وهو متوار في منزل أبي خليفة العبدي فجاء رجل فقال: يا أبا سعيد توفي الحجاج فخر ساجدًا[٩٧]. 401

لما بشر الحسن بموت الحجاج سجد شكرًا لله تعالى وكان مختفيًا فظهر وقال: اللهم أَمَتَّهُ فأذهِبْ عنا سنته. 402

قال الحسن: كان أهل قرية أوسع الله عليهم حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع حتى أنهم كانوا يأكلون ما يقعدون به. 404

ذكر روح بن قاسم أن رجلًا من أهله تنسك فقال: لا آكل الخبيص أو الفالوذج، لا أقوم بشكره؛ قال: فلقيت الحسن فقلت له في

---

[٩٧] قال العلاء بن المغيرة: بشرت الحسن بموت الحجاج وهو مختف فخر لله ساجدًا.

«عدة الصابرين ص112»

ذلك فقال الحسن: هذا انسان أحمق! وهل يقوم بشكر الماء البارد [98]؟!.

405

قال الحسن في قوله تعالى «إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» [99]: يعدد [100] المصائب وينسى النعم[101]. 406

---

[98] قال البيهقي: هذا الذي قاله الحسن رحمه الله وإيانا في عجز الخلق عن القيام بشكر أدنى نعمة من نعم الله عز وجل صحيح، وقد استحب بعض أهل السلف الاقتصاد في اللباس والطعام علمًا منهم بأنهم إذا كانوا عاجزين عن القيام بشكر أدنى نعمة من نعم الله عز وجل كانوا عن القيام بشكر النعم العظام أعجز. «الشعب 4/ 139 وانظر عدة الصابرين ص101»

[99] العاديات «6».

[100] وفي رواية «يذكر» بدل «يعدد»

[101] قال ابن أبي الدنيا: أنشدنا محمود الوراق في ذلك:

يا أيها الظالم في فعله*****والظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى* *تشكو المصيبات وتنسى النعم

الشكر ص25

ذكر عبد الله بن شبرمة أن الحسن كان يقول إذا شرب الماء: الحمد لله الذي جعله عذبًا فراتًا برحمته ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا]. 409

قال هشام بن سلمان: كنت قاعدًا عند الحسن وبكر بن عبد الله المزني فقال له الحسن: هات يا أبا عبد الله دعوات لإخوانك؛ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: والله ما أدري أي النعمتين أفضل علي وعليكم؟ أنعمة المسلك أم نعمة المخرج إذ أخرجه الله منا؟! قال الحسن: لقد قلتَ عجبًا يا بكر، إنها لمن نعمه العظام. 411

قال أبو حازم: كلُّ نعمةٍ لا تقرِّبُ من اللهِ عزَّ وجلَّ فهي بلية.

414

كان مطرف بن عبد الله يقول: لأن أعافى فأشكر أحب إلي من أن ابتلى فأصبر وكان أخوه أبو العلاء يزيد بن عبد الله يقول: اللهم أي ذلك كان خيرًا فعجل لي[١٠٢]. 418

[١٠٢] روى الفقرة الأولى منه ابن أبي الدنيا في «الشكر» «ص 14 و ص25 وص63» والخرائطي في «فضيلة الشكر» «ص46»، وزاد: «ونظرت في الخير الذي لا شر فيه فلم أر مثل المعافاة والشكر».

جاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكا إليه ضيقًا من حاله ومعاشه واغتمامًا منه بذلك، فقال له يونس: أيسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مئة ألف؟ قال: لا، قال: فسمعك الذي تسمع به يسرك به مئة ألف؟ قال: لا، قال: ففؤادك الذي تعقل به يسرك به مئة ألف؟ قال: لا، قال: فيداك يسرك بهما مئة ألف؟ قال: لا، قال: فرجلاك؟ قال: فذكَّرَهُ نعم الله عز وجل عليه فأقبل عليه يونس فقال: أرى لك مئين ألوفًا وأنت تشكو الحاجة!.420

قال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: ان رأيت بهما خيرًا أعلنته وإن رأيت بهما شرًا سترته؛ قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعتَ بهما خيرًا وعيتَه، وإن سمعتَ بهما شرًا أخفيته؛ قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقًا لله هو فيهما؛ قال: فما هو شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله طعامًا وأعلاه علمًا؛ قال: فما شكر الفرج؟ قال: كما قال [الله تعالى]: «إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ» إلى قوله «فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُون»[١٠٣]؛ قال: فما شكر الرجلين؟ قال: إذا رأيت حيًا غبطته استعملت بهما عمله وان رأيت ميتًا مقتَّه كففتهما عن عمله وأنت

---

[١٠٣] المؤمنون «6–7».

شاكر لله؛ فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر. 421

قال رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الأشعث: إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو. 425

قال عمر بن عبد العزيز: قيدوا نعم الله عز وجل بالشكر لله تعالى[١٠٤]. 462

عن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قال: ما قلب عمر بن عبد العزيز بصره على نعمة أنعم الله بها عليه إلا قال: اللهم إني أعوذ بك أن أبدل نعمك كفرًا أو أكفرها بعد معرفتها أو أنساها فلا أثني بها. 427

قال عقبة الأصم: كنا عند أبي تميمة الهجيمي [١٠٥] فجاءه بكر بن عبد الله فقال: يا أبا تميمة كيف أصبحت؟ قال: بين نعمتين أميل

---

[١٠٤] ذكر هذا الأثر المبرِّد في «الكامل» «1/ 302» وزاد فيه «وقيدوا العلم بالكتاب».

[١٠٥] هو طريف بن مجالد البصري، مات نحو سنة 95 هـ.

بينهما، لا أدري أيتهما أفضل: ذنب ستره الله علي فلا يستطيع أحد أن يرميني به، ومحبة رزقنيها الله من عباده، وعزته ما بلغها عملي[١٠٦]. 430

عن بكر بن عبد الله أنه لحق حمالًا عليه حمله وهو يقول: الحمد لله واستغفر الله، قال: فانتظرته حتى وضع ما على ظهره وقلت له: أما تحسن غير ذا؟ قال: بلى، أُحْسِن خيرًا كثيرًا، أقرأ كتاب الله؛ غير أن العبد بين نعمة وذنب، فأحمد الله على نعمائه السابقة واستغفره لذنوبي، فقلت: الحمال أفقه من بكر. 431

عن عبيد الله بن أبي حميد قال: سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول: لقيت أخًا لي من أخواني [من] الضعفاء فقلت: يا أخي أوصني، فقال: ما أدري ما أقول! غير أنه ينبغي لهذا العبد أن لا يفتر عن الحمد والاستغفار؛ وابن آدم بين نعمة وذنب، ولا تصلح النعمةُ

---

[١٠٦] ورواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» «ص 43» عن عقبة بن عبد الله الرفاعي قال: دخلت أنا وبكر بن عبد الله المزني على أبي تميمة الهجيمي نعوده فقال له بكر: كيف أصبحت يا أبا تميمة---فذكره.

ورواه فيه أيضًا «ص18» عن يونس بن عبيد قال: قال رجل لأبي تميمة: كيف أصبحت؟ فذكره.

إلا بالحمد والشكر، ولا الذنبُ إلا بالتوبة والاستغفار؛ قال: فأوسَعَني علمًا ما شئتُ. 432

قال معاوية بن قرة: من لبس ثوبًا جديدًا فقال: بسم الله والحمد لله غفر له؛ وقال: من أكل طعامًا فقال: بسم الله والحمد لله، غفر له؛ ومن شرب فقال: بسم الله والحمد لله، غفر له. 433

عن سفيان بن عيينة عن محمد بن سوقة قال: مررت مع عون بن عبد الله بالكوفة على قصر الحجاج فقلت: لو رأيت ما نزل بنا ههنا زمن الحجاج! فقال: مررت كأنك لم تدع الى ضر مسك؛ ارجع فاحمد الله واشكره؛ ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: «مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ»[١٠٧]. 435

عن جعفر بن محمد قال: فقد أبي بغلة له فقال: لئن ردها الله علي لاحمدنه بمحامد يرضاها فما لبث ان اتي بها بسرجها ولجامها فركبها فلما استوى عليها وضم إليه ثيابه رفع رأسه الى السماء ثم قال: الحمد لله ولم يزد عليها، فقيل له في ذلك! فقال: وهل تركت شيئًا – أو قال: أبقيت شيئًا – ؟! جعلت الحمد لله كلَّه عز وجل. 438

---

[١٠٧] يونس «12».

قال الحسن: خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى فدبوا على وجه الأرض فيهم الأعمى والأصم والمبتلي فقال آدم: يا رب ألا سويت بين ولدي؟! قال: يا آدم أردت أن أُشْكَر. 439

عن العلاء بن المغيرة قال: بُشر الحسن بموت الحجاج وهو مختفي فسجد. 440

قال وهب بن منبه: رؤوس النعم ثلاثة، فأولها: نعمة الإسلام التي لا تطيب الحياة إلا بها؛ والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها؛ والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها. 441

قال سعيد بن جبير في قول الله: «لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ» [١٠٨] قال: من طاعتي. 442

قال محمد بن كعب القرظي: يا هؤلاء احفظوا اثنتين: شكر النعم وإخلاص الإيمان. 443

قال بكر بن عبد الله المزني: يا بن آدم إذا أردت أن تعلم قدر ما أنعم الله عليك فغمض عينيك[١٠٩]. 444

---

[١٠٨] ابراهيم «7».

[109] ومن أجل الفائدة أسوق هنا أحسن آثار «الشكر» لابن أبي الدنيا مما هو عن غير التابعين في الغالب:

عن أبي عمران الجوني عن أبي الجلد قال: قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال: أي رب كيف لي أن أشكرك وإني لا أصل شكرك إلا بنعمتك؟! قال: فأتاه الوحي أن يا داود أليس تعلم أن الذي بك من النعم مني؟ قال: بلى يا رب، قال: فإني أرضي بذلك منك. «ص7»

عن أبي عمران الجوني عن أبي الجلد قال: قرأت في مسألة موسى عليه السلام أنه قال: يا رب كيف لي أن أشكرك وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجازي بها عملي كله؟ قال: فأتاه الوحي أن يا موسى الآن شكرتني. «ص7»

[عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي عمرو الشيباني قال: قال موسى يوم الطور: يا رب إن أنا صليت فمِن قِبلك وإن أنا تصدقت فمن قبلك وإن بلغت رسالاتك فمن قبلك فكيف أشكرك؟! قال: يا موسى الآن شكرتني. فضيلة الشكر ص45]

عن خالد بن معدان: سمعت عبد الملك بن مروان يقول: ما قال عبد كلمة أحب إليه وأبلغ في الشكر عنده من أن يقول: الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا للإسلام. «ص8»

قال محمد بن إدريس: يروى عن علي أنه قال لرجل من همدان: ان النعمة موصلة بالشكر والشكر معلق بالمزيد وهما مقرونان في قرن فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد. «ص11»

عن عبدة بن سليمان سمعت مخلد بن حسين يقول: كان يقال: الشكر ترك المعاصي. «ص11»

عن عبد العزيز بن عمير قال: سمعت أبا سليمان الواسطي يقول: ذكر النعمة يورث الحب لله. «ص11»

عن أبي بردة قال: قدمت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام فقال لي: ألا تدخل بيتًا دخله رسول الله ونطعمك سويقًا وتمرًا؟ ثم قال: إن الله عز وجل إذا جمع الناس غدًا ذكَّرهم ما أنعم عليهم فيقول العبد بآية ماذا؟ فيقول: آية ذاك أنك كنت في كربة كذا وكذا فدعوتني فكشفتها عنك وآية ذاك أنك كنتَ في سفر كذا وكذا فاستصحبتني فصحبتك؛ قال: ويذكره حتى يذكر يقول: فآية ذاك انك خطبت فلانة بنت فلان وخطبها معك خُطّابٌ فزوجتُك ورددتُهم. «ص12». [اخترت في هذه الرواية طبعة ياسين السواس، وهو فيها برقم 22].

عن أبي بردة عن عبد الله بن سلام: إن الله عز وجل يقعد عبده بين يديه فيعدد عليه نعمه، هذا الحديث، فبكى ثم بكى ثم قال: اني لأرجو أن لا يقعد الله عبدًا بين يديه فيعذبه. «ص12»

قال سفيان: رأى وُهيبٌ قومًا يضحكون يوم الفطر فقال: إن كان هؤلاء تُقبل منهم صيامُهم فما هذا فعل الشاكرين؛ وإن كان هؤلاء لم يُتقبل منهم صيامُهم فما هذا فعل الخائفين. «ص14»

قال محمد بن يزيد بن خنيس: انصرف الناس ذات يوم من العيد فرأى وهيب الناس وهم يمرون في ذلك الزي فنظر إليهم ساعة ثم قال: عفا الله عنا وعنكم، لئن كنتم أصبحتم مستيقنين أن الله قد تقبل منكم هذا الشهر لقد كان ينبغي لكم أن تصبحوا مشاغيل عما أنتم فيه بطلب الشكر وإن كانت الأخرى: خائفين أن لا يكون قد تقبل منكم – لقد كان ينبغي لكم أن تكونوا أشغل فكرًا عما أنتم فيه اليوم. «ص67»

عن الهقل بن زياد عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته: أيها الناس تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها، على الهرب من نار الله عز وجل الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فإنكم في دار الثواء فيها قليل، وأنتم فيها تؤجلون، خلائف بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها، فهم كانوا أطول منكم أعمارًا وأمدَّ أجسامًا وأعظم آثارًا؛ فخدّوا الجبال وجابوا الصخور ونقبوا البلاد مؤيدين ببطش شديد وأجسام كالعماد، فما لبثت الأيام والليالي ان طوت مدتَهم وعفتْ آثارَهم وأخوتْ منازلَهم وأنستْ ذكرَهم، فما تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزًا؛ كانوا بلهو الأمل آمنين لبيات قوم غافلين أو لصباح قوم نادمين؛ ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بياتًا من عقوبة الله عز وجل فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمة الله وزوال نعمه ومساكن خاوية فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم وعبرة لمن يخشى؛ وأصبحتم من بعدهم في أجل منقوص ودنيا مقبوضة، في زمان قد ولى عفوه وذهب رخاؤه فلم يبق منه إلا حمأة شر وصُبابة كدر وأهاويل عبر وعقوبات غبر وأرسال فتن وتتابع زلازل ورذالة خلف بهم ظهر الفساد

في البر والبحر، فلا تكونوا أشباهًا لمن خدعه الأمل وغره طول الأجل فتبلَّغ بالأماني؛ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى نذره فانتهى وعقل سراه فمهد لنفسه. «ص14»

عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام قال: يا رب ما الشكر الذي ينبغي لك؟ قال: يا موسى لا يزال لسانك رطبًا من ذكري. «ص18»

عن مخلد بن حسين عن محمد بن لوط كان يقال: الشكر ترك المعصية. «ص19»

عن مالك بن دينار قال: قرأت في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول: يا بن آدم خيري ينزل إليك وشرك يصعد إلي وأتحبب إليك بالنعم وتتبغض الي بالمعاصي ولا يزال ملك كريم قد عرج الي منك بعمل قبيح. «ص19»

قال أبو علي المدائني: كنت أسمع جارًا لي يقول في الليل يا إلهي خيرك إلي نازل، وشري إليك صاعد؛ وكم ملك كريم قد صعد إليك بعمل قبيح؛ أنت مع غنائك عني تتحبب الي بالنعم؛ وأنا مع فقري إليك وفاقتي إليك أتمقَّت إليك بالمعاصي؛ وأنت في ذلك تجبرني وتسترني وترزقني. «ص20»

عن صغدي بن أبي الحجراء قال: كنا ندخل على المغيرة بن محمد فنقول: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ قال: أصبحنا مغرقين في النعم مقصرين في الشكر، يتحبب إلينا ربنا عز وجل وهو عنا غني ونتمقت اليه ونحن اليه محتاجون. «ص20»

عن عبد الله بن ثعلبة قال: إلهي من كرمك أنك [كأنك] تطاع فلا تعصى، ومن حلمك أنك تُعصى [و]كأنك لا تَرى، وأي زمن لم يعصك فيه سكان أرضك فكنت والله عليهم بالخير عوادًا!. «ص20»

عن إبراهيم بن الأشعث سمعت فضيل بن عياض يقول: كان يقال: من عرف نعمة الله بقلبه وحمده بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقول الله عز وجل: «لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ» [إبراهيم 7]. «ص23»

وقال [إبراهيم أيضًا]: سمعته يعني فضيل بن عياض يقول: كان يقال: من شكر النعمة أن تُحدِّث بها. «ص23»

عن إبراهيم بن الأشعث سمعت الفضيل يقول: قال الله عز وجل: يا ابن آدم إذا كنت تتقلب في نعمتي وأنت تتقلب في معصيتي فاحذرني لا أصرعك بين معاصيك، يا بن آدم اتقني ونم حيث شئت. «ص24»

عن مزاحم بن زفر عن مسعر قال: لما قيل لهم: «اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا» [سبأ 13] قال: لم تأت على القوم ساعة إلا وفيهم مصل. «ص28»

عن سفيان الثوري قال: الستر من العافية. «ص30»

عن محمد بن يونس الكديمي قال حدثني أبو سفيان المقدسي قال: قال زياد: إن مما يجب لله عز وجل على ذي النعمة بحق نعمته ألا يَتَوصل بها إلى معصيته. «ص31»

قال ابن أبي الدنيا: أنشدني محمود الوراق:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة***علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله***وان طالت الأيام واتصل العمر

إذا مس بالسراء عم سرورها**وان مس بالضراء أعقبها الأجر

ولا منهما إلا له فيه منة*****تضيق بها الأوهام والبر والبحر

«ص31»

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن عبيد التميمي قال: قال أعرابي: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه. «ص32»

قال ابن السماك: كتبت إلي محمد بن الحسن حين ولي القضاء بالرقة: أما بعد فلتكن التقوى من بالك على كل حال وخف الله في كل نعمة عليك لقلة الشكر عليها مع المعصية بها، فإن النعمة حجة وفيها تبعة، فأما الحجة فيها فالمعصية بها، وأما التبعة فيها فقلة الشكر عليها؛ فعفى الله عنك كلما ضيعت من شكر أو ركبت من ذنب أو قصرت من حق. «ص32»

عن أنس بن مالك قال: سمعت عمر بن الخطاب سلم على رجل فرد عليه السلام فقال عمر للرجل: كيف أنت؟ قال الرجل: أحمد الله إليك قال عمر: هذا أردت منك. «ص34»

عن علقمة بن مرثد عن ابن عمر قال: لعلنا نلتقي في اليوم مرارًا «يسأل بعضنا عن بعض وإن نريد» بذلك إلا لنحمد الله. «ص 34». [العبارة بين القوسين أصلحتها اجتهادًا]

عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرَشي قال: سمعت عبد الله بن مِخْمَر الشَّرْعَبِي يقول على المنبر ونظر إلى الناس قد صفّروا وحمّروا واستراشوا ولبسوا فأقبل عليهم فقال: يا حسناه وياجمالاه!! بعد العدمِ: الخيام من الأدَم، والحَوْتَكِيَّة والبُرود! أصبحتم زُهْرًا وأصبح الناس غُبْرًا؛ أصبح الناس ينسجون وأنتم تلبسون؛ وأصبح الناس يعطون وأنتم تأخذون؛ وأصبح الناس ينتجون وأنتم تركبون؛ وأصبح الناس يزرعون وأنتم تأكلون. فبكى وأبكاهم. «ص35». [وقد أثبت ما في مطبوعة ياسين السواس 96].

عن سليم بن عامر قال: سمعت عبد الله بن قرط الأزدي وكان من أصحاب النبي [صلى الله عليه وسلم] وهو يقول على المنبر في يوم أضحى أو فطر ورأى على الناس ألوان الثياب فقال: يا لها من نعمة ما أسبغها! يا لها من كرامة ما أظهرها! وإنه ما زال عن جادة قوم شيء أشد عليهم من نعمة لا يستطيعون ردها، وإنما تثبت النعمة بشكر المنعَم عليه للمُنعِم. «ص35 وفضيلة الشكر ص66»

عن المعتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن أبي عثمان عن سليمان أن رجلًا بسط له في الدنيا فانتزع ما في يديه فجعل يحمد الله ويثني عليه، حتى لم يكن له فراش إلا باري [أي حصير من قصب] فجعل يحمد الله ويثني عليه وبسط لآخر في الدنيا فقال لصاحب الباري: أرأيتك أنت علام تحمد الله؟! قال: أحمده على ما لو أعطيت به ما أُعطي الخلق لم أعطهم إياه به؛ قال: وما ذاك؟ قال: أرأيت بصرك؟ أرأيت لسانك؟ أرأيت يديك؟ أرأيت رجليك. «ص36»

عن شرحبيل أن أبا الدرداء كان يقول: الصحة غنى الجسد. «ص36»

عن أبي الحواري قال: جلس فضيل بن عياض وسفيان بن عيينة ليلة إلى الصباح يتذاكران النعم؛ فجعل سفيان يقول: أنعم الله علينا في كذا، أنعم الله علينا في كذا، فعل بنا كذا، فعل بنا كذا. «ص41»

عن عبد الله بن داود عن سفيان في قوله «سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ» [القلم 44] قال: نسبغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر؛ وقال غير سفيان: كلما أحدثوا ذنبًا أحدثت لهم نعمة، قال ابن داود: وينسوا. «ص41»

قال ابن أبي الدنيا: أنشدني أحمد بن موسى الثقفي:

وكم من نعمـة لله تمسـي***وتصبح ليس تعرفها كبيره

وكم من مدخل لو متَّ فيه** **لكنت به نكالا في العشيره

وقيتَ السوء والمكروه فيه** *ورحتَ بنعمة فيـه ستيره

«ص43»

عن راشد بن سعد قال: دعي عثمان إلى قوم اجتمعوا على ريبة لهم فانطلق ليأخذهم فتفرقوا قبل أن يبلغهم فأعتق رقبة شكرًا لله ألا يكون جرى على يديه خزي مسلم.
«ص43»

عن حسين بن علي الجعفي عن عبد الملك بن أبجر قال: ما من الناس إلا مبتلى بعافية لينظر كيف شكره وببلية لينظر كيف صبره. «ص46»

عن سفيان الثوري قال: لقد أنعم الله على عبد في حاجة أكثر من تضرعه اليه فيها.

«ص46»

قال ابن أبي الدنيا: حدثت عن سعيد بن عامر قال: قال سلام بن أبي مطيع: متى شئت أن ترى مَن النعمةُ عليك أكثرُ منها عليه رأيته؛ قال سلام: إي والله إذا اغلقت عليك بابك جاءك من يسألك يدق عليك ليعرفك نعمته عليك؛ هذا الكلام عن غير سعيد بن عامر. «ص48»

عن زهير البابي عن سلام بن أبي مطيع قال: دخلت على مريض فإذا هو يئن فقلت له: اذكر المطروحين في الطريق؛ اذكر الذين لا مأوى لهم ولا من يخدمهم؛ قال: ثم دخلت عليه بعد ذلك فلم أسمعه يئن؛ قال: وجعل يقول: اذكر المطروحين في الطريق؛ اذكر من لا مأوى له ولا من يخدمه. «ص48»

عن حكيم بن جعفر عن عبد الله بن أبي نوح قال: قال لي رجل على بعض السواحل: كم عاملته تبارك اسمه بما يكره فعاملك بما تحب؟ قلت: ما أحصي ذلك كثرة، قال: فهل قصدت إليه في أمر كربك فخذلك؟ قلت: لا والله ولكنه أحسن إلي فأعانني، قال: فهل سألته شيئًا قط فأعطاك؟ قلت: وهل منعني شيئًا سألته؟! ما سألته شيئًا قط إلا أعطاني ولا استعنت به إلا أعانني، قال: أرأيت لو أن [بعض] بني آدم فعل بك بعض هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك؟ قلت: ما كنت أقدر له على مكافأة ولا جزاء، قال: فربك أحق وأحرى أن تُدْئِبَ نفسك له في أداء شكر نعمه عليك وهو المحسن قديمًا وحديثًا إليك؛ والله لشكره أيسر من مكافأة عباده، إنه تبارك وتعالى رضي بالحمد من العباد شكرًا. «ص48»

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: يقال: إنه ليكون في المجلس الرجل الواحد يحمد الله فتنقضي لأهل ذلك المجلس حوائجهم كلهم. «ص50»

حدثني الحسن حدثني الحارث حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: ذكر بعض أهل العلم [أن] في بعض الكتب التي أنزلها [الله] إن الله قال: سُروا عبدي المؤمن فكان لا يأتيه شيء يحبه إلا قال: الحمد لله الحمد لله ما شاء الله، قال: روعوا عبدي المؤمن، قال: فلا تطلع عليه طليعة من طلائع المكروه إلا قال الحمد لله الحمد لله، قال: إني أرى عبدي يحمدني حين روعته كما يحمدني حين سررته ادخلوا عبدي دار عدن كما يحمدني على كل حالاته. «ص50»

قال ابن أبي الدنيا: حدثني أبو أيوب القرشي مولى بني هاشم قال: قال داود عليه السلام: رب أخبرني ما أدنى نعمتك علي؟ فأوحى الله اليه يا داود تنفس فتنفس فقال: هذا أدنى نعمتي عليك. «ص51»

عن أبي المليح قال: قال موسى عليه السلام: رب ما أفضل الشكر؟ قال: أن تشكرني على كل حال. «ص52»

عن محمد بن النضر الحارثي قال: بلغني أن الله أوحى الى موسى أن يا موسى بن عمران كن يقظانًا مرتادًا لنفسك أخدانًا، وكل خدن لا يؤاتيك على مسرتي فلا تصحبه فإن ذلك عدو وهو يقسي قلبك؛ وأكثر من ذكري حتى تستوجب الشكر وتستكمل المزيد. «ص56»

عن سلام بن أبي مطيع قال: أتينا الجريري وكان من مشايخ أهل البصرة وكان قد قدم من الحج فجعل يقول: أبلانا الله في سفرنا كذا، وأبلانا في سفرنا كذا؛ ثم قال: إن تعداد النعم من الشكر. «ص59»

عن أبي البختري الطائي عن علي بن أبي طالب قال: أتى بختنصر بدانيال النبي عليه السلام فأمر به فحبس، وأضرى أسدين فألقاهما في جب معه وطيَّن عليه وعلى الأسدين ثم حبسه خمسة أيام مع الأسدين ثم فتح عنه بعد خمسة أيام، فوجد دانيال قائمًا يصلي والأسدين في ناحية الجب لم يعرضا له فقال له بختنصر: أخبرني ماذا قلت

فدُفع عنك؟! قال: قلت الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي لا يخيب من رجاه، والحمد لله الذي لا يكل من توكل عليه إلى غيره، والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تنقطع عنا الحيل؛ الحمد لله الذي هو رجاؤنا حين يسوء ظننا بأعمالنا؛ والحمد لله الذي يكشف ضرنا عند كربنا؛ الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانًا؛ الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة. «ص173»

عن ابن سيرين قال: كان ابن عمر يكثر النظر في المرآة وتكون معه في الأسفار فقلت له: ولِمَ؟ قال: أنظر، فما كان في وجهي زين وهو في وجه غيري شين أحمد الله عليه. «ص175»

عن سفيان بن عيينة قال: عمل رجل من أهل الكوفة بخلق دنيء فأعتق جارية له إذ عافاه الله من ذلك الخلق؛ قال: وأمطر أهل مكة مطرًا فهدمت منه البيوت فأعتق ابن أبي رواد جارية له شكرًا لله إذ عافاه الله من ذلك. «ص176»

عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم وسأله رجل فقال: ما تمام النعمة؟ قال: أن تضع رجلًا على الصراط ورجلًا في الجنة. «ص62»

[قلت: حكى صاحب «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» « 2/ 398»: عن محمد بن حسنويه صاحب الأدم عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل أنه جاءه رجل من

أهل خراسان فقال: يا أبا عبد الله قصدتك من خراسان أسألك عن مسألة! قال له: سل؛ قال: متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة.

وقال المناوي في «فيض القدير» «2/ 563» بعد كلام ذكره: «ومن ثَمَّ سئل بعض العارفين: متى يجد العبد طعم الراحة؟ فقال: عند أول قدم يضعها في الجنة»].

عن ابن شوذب قال: قال عبد الله: إن لله عز وجل على أهل النار منة ولو شاء أن يعذبهم بأشد من النار لعذبهم. «ص63»

عن شهر بن حوشب قال: سمعت عائشة تقول: ما من عبد يشرب من الماء القراح فيدخل بغير أذى ويخرج بغير أذى إلا وجب عليه الشكر. «ص65»

كتب بعض الحكماء إلى أخ له: أما بعد يا أخي فقد أصبح بنا من نعم الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه، فما ندري أيها نشكر، أجميل ما [أ]ظهر أم قبيح ما ستر؟ ص66

عن عباءة بن كليب قال: كتب إلي ابن السماك: أما بعد فإني كتبت إليك وأنا مسرور مستور، وأنا بهما مغرور، ذنب ستره علي فقد طابت النفس به كأنه مغفور، ونِعم أبلاها، فأنا بها مسرور----فليت شعري ما عواقب هذه الأمور؟ ص66

عن عبد الله [بن المبارك] قال: سمعت علي بن صالح في قوله «لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ» [إبراهيم 7] قال: أي من طاعتي. ص67

عن عنبسة بن الأزهر قال: كان محارب بن دثار قاضي أهل الكوفة قريب الجوار مني فربما سمعته في بعض الليل يقول ويرفع صوته: أنا الصغير الذي ربيتَه فلك الحمد، وأنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد، وأنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد، وأنا الساغب الذي أشبعته فلك الحمد، وأنا العاري الذي كسوته فلك الحمد، وأنا المسافر الذي صاحبته فلك الحمد، وأنا الغائب الذي أدَّيتَه فلك الحمد، وأنا الراجل الذي حملته فلك الحمد، وأنا المريض الذي شفيته فلك الحمد، وأنا الداعي الذي أجبته فلك الحمد، ربنا ولك الحمد ربنا حمدًا لك على كل نعمة. ص68

قال ابن أبي الدنيا: حدثني علي بن الحسن قال: سمعت أبا طالب يقول في كلامه: اختط لك الأنف فأقامه وأتمه فأحسن تمامه، ثم أدار منك الحدقة فجعلها بجفون مطبقة وبأشفار معلقة، ونقلك من طبقة الى طبقة، وحنن عليك الوالدين برِقّةٍ ومِقَة، فنعمه عليك مُورِقة وأياديه بك محْدِقة. ص68

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن صالح التميمي قال: كان بعض العلماء إذا تلا «وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا» [إبراهيم 34] قال: سبحان من لم يجعل في أحدٍ من معرفة نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل في أحد من ادراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه، فجعل معرفة نعمه بالتقصير عن معرفتها شكرًا كما شكر علم العالِمين أنهم لا يدركونه فجعله إيمانًا علمًا منه أن العباد لا يجاوزون ذلك. «الشكر 198»

قال بعض الحكماء: لو لم يعذب على معصيته لكان ينبغي أن لا يعصى لشكر نعمته.

ص71

وهذه آثار أخرى من «فضيلة الشكر» للخرائطي:

عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد قال: حدثتني أمي قالت: كان بمرو امرأة تلد البنات فولدت تسع بنات فلما حملت العاشرة قال لها النساء: يا فلانة إن ولدت هذه المرة ابنة فاحمدي الله، قالت: إن ولدت ابنة لم أحمد الله قالت: فولدت خنزيرة قالت أمي: فأتيتها فنظرت إلى الخنزيرة تحت ثيابها فعاشت ثلاثة أيام ثم ماتت.

ص37

عن الأصبغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله «وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» [الذاريات 21] قال: سبيل الغائط والبول. ص40

عن الفضيل بن عياض قال: إن الله عز وجل ليشكر العبد إذا قال: الحمد لله؛ وإن كان على فراش وَطِيءٍ وعنده شابة حسناء. ص42

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أول من يدخل الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله عز وجل في السراء والضراء. ص43

قال الخرائطي: أنشدني عبد الله بن أبان العسقلاني لمحمود الوراق – من الوافر:

عطيَّتُه إذا أعطى سرورٌ***وإن أخذ الذي أعطى أثابا

فأي النعمتين أحق شكرًا*****وأحمد عند منقلب إيابا

أنعمته التي أهدت سرورًا**أم الأخرى التي أهدت ثوابا

بل الأخرى وإن نزلت بكره***أعم لصابر فيه احتسابا

ص43

عن سليمان بن يسار أن عمر بن الخطاب مر بشعب بين مكة والمدينة فقال: الحمد لله لقد رأيتني أرعى في هذا الشعب على الخطاب وكان ما علمت فظًا غليظًا ثم أصبحت خليفة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم يجوز أمري فيهم ثم قال:

لا شيء فيما ترى إلا بشاشته***يبقى الإله ويودي الأهل والمال

ص46

قال الخرائطي: أنشدني المبرد ليزيد بن محمد بن المهلب بن أبي صفرة:

إلهي لا تفتنا منك رحمة*** **وعافية وتوفيقًا وعصمه

فما زلنا نعرف منك خيرًا***ويحسد حاسد فيطيل رغمه

وكم أذنبتُ من ذنب عظيم***فلم تفضح، ولم تعجل بنقمه

وكيف بشكر ذي نعم إذا ما**شكرْتُ له فشكري منه نعمه

ص47

عن ابن شهاب عن ابن لكعب بن مالك قال: لما أتى كعب بن مالك الذي بشره بتوبته سجد وأعطى الذي بشره ثوبيه. ص54

عن شعيب بن طلحة التيمي عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر أنها لما قتل ابنها عبد الله بن الزبير كان عندها شيء أعطاها النبي صلى الله عليه وسلم في سفط فأمرت طارقًا بطلبه فلما جاءها به سجدت. ص55

عن محمد بن قيس الهمداني قال: سمعت أبا موسى الهمداني [يقول]: رأيت عليًا وهم يطلبون المخدج وهو يَعْرق ويقول: ما كذبت ولا كذبت فلما وجده خر ساجدًا. ص55

عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال لعمر بن الخطاب: إنا لنجد «ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء» قال عمر: إلا من حاسب نفسه؛ قال كعب: إلا من حاسب نفسه، فكبر عمر وخر ساجدًا. ص56

عن الهيثم بن مالك الطائي قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: على المنبر: إن للشيطان مصالي وفخوخًا، وإن من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله، والفخر بإعطاء الله، والكبرياء على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله عز وجل. ص57

عن أبي عمر الضرير قال: حدثنا أبو سلمة مولى لعتيك قال: قالت هند: إذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بتعجيل الشكر قبل حلول الزوال. ص58

قال الخرائطي: أنشدني بعض أصحابنا:

بدا حين أثرى بإخوانه*****ففلل عنهم شباة العدم

وذكَّره الحزم غب الأمو ر فبادر قبل انتقال النعم

ص58

قال الخرائطي: حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال: حدثنا محمد بن الحسين قال: مر ديراني من الرهبان فقلنا: أين تريد؟ قال: أجول أطلب صلاح قلبي، قلت: فمن أين أقبلت؟ فبكى ثم قال: أقبلت من عند قوم ملوا نعم الله عندهم فخفت أن يسلبهم إياها عندما رأيت من تضييعهم شكرها فهربت عند ذلك فهل من مرشد يرشد إلى خير أو يدل عليه. ص60

عن علي بن أبي طالب أنه قال لجليس له يومًا: أشكر المنعِم عليك وأنعِم على الشاكر لك فإنه لا نفاذ للنعم إذا شُكرت ولا بقاء لها إذا كُفرت والشكر زيادة في النعم وأمان من الغير. ص66

قال الخرائطي: أنشدني عمران بن موسى المؤدب:

فإنك إن ذوقتني ثمر الغنى** ****حمدتَ الذي أجنيك من ثمر الشكر

وإن يفْنَ ما أعطيتَ في اليوم أو غد*فإن الذي أعطيك يبقى على الدهر

ص67

قال الخرائطي: أنشدني محرز بن الفضل الرازي:

لأشكرنك معروفًا هممت به* *إن اهتمامك بالمعروف معروف

ولا ألومك إذ لم يمضه قدر**فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

ص67

عن عبيد الله بن العبشي: قال رجل لسفيان بن عيينة: يا أبا محمد ما حديث تحدثونه؟!

قال: ما هو يا ابن أخي؟ قال: تقولون إن الله يقول: أيما عبد كانت له إلي حاجة فشغلَه

شاغل عن مسألتي حاجتَه أعطيته فوق أمنيته، فقال: وما تنكر من هذا؟! أما سمعت

قول أمية بن أبي الصلت:

إذا أثنى عليه المرء يومًا****كفاه من تعرضه الثناء

ص67

عن أبي يزيد الفيض بن إسحاق قال: قال الفضيل بن عياض: خلتان لا أبيع إحداهما

بشيء، قول الناس: قد أحسنت، لو أعطيت رجلًا ألف دينار فقال لك: أحسنت

جزاك الله خيرًا كان الذي أعطاك خيرًا من الذي أخذ، والأخرى لا تشتريها بشيء قول

الناس: قد أسأت. ص68

سمعت أبا العباس المبرد يقول: قال أعرابي لعبد الله بن جعفر: لا ابتلاك الله ببلاء

يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يقصر عنها شكرك. ص68

عن عوف بن أبي جميلة قال حدثنا خالد الربعي قال: كان يقال: إن من أجدر الأعمال

أن لا تؤخر عقوبته، أو تعجل عقوبته: الأمانة تخان والرحم تقطع والإحسان يكفر.

ص70

قال الخرائطي: حدثنا نصر بن داود قال: حدثنا أبو عبيد قال: حدثنا علي بن عاصم

عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن كعب الأحبار قال: شر الحديث التجديف؛

الصبر

قال عبد الله بن المبارك: أخبرنا عبد الله بن لهيعة عن عطاء بن دينار أن سعيد بن جبير قال: الصبر اعتراف العبد لله بما أصابه منه، واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه؛ وقد يجزع الرجل وهو يتجلد، لا يُرى منه الا الصبر[110]. 445

قال عبيد بن عمير الليثي: ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القلب، ولكن الجزع القول السيء والظن السيء. 446

قال نصر: قال أبو عبيد: قال الأصمعي: التجديف هو الكفر بالنعم، يقال منه: جدف الرجل تجديفًا؛ وقال الأموي: هو استقلال ما أعطاه الله عز وجل. ص70.

[110] قال ابن القيم: «فقوله «اعتراف العبد لله بما أصاب منه» كأنه تفسير لقوله «إنا لله»؛ فيعترف أنه ملك لله يتصرف فيه مالكه بما يريد؛ وقوله «راجيًا به ما عند الله» كأنه تفسير لقوله «وإنا إليه راجعون»، أي ترد إليه فيجزينا على صبرنا ولا يضيع أجر المصيبة؛ وقوله «وقد يجزع الرجل وهو يتجلد»، أي ليس الصبر بالتجلد، وانما هو حبس القلب عن التسخط على المقدور، ورد اللسان عن الشكوى، فمن تجلد وقلبه ساخط على القدر فليس بصابر».

قال الحسن: ما من جرعتين أحب إلى الله من جرعة مصيبة موجعة محرقة ردها صاحبها بحسن عزاء وصبر، وجرعة [111] غيظ ردها صاحبها بحلم. 447

قال بكر بن عبد الله المزني: إن الله ليجرع عبده المؤمن من المرارة لما يريد به من صلاح عاقبة أمره، قال: أما رأيتم المرأة تؤجر ولدها الصبر - أو قال الحضض[112] - تريد به عافيته. 448

قال الحسن البصري:الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده. 449

كان الحسن يقول: إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون. 451

قال الحسن: لا تكرهوا النقمات الواقعة والبلايا الحادثة فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ولرب أمر تؤثره فيه عطبك. 452

---

[111] وردت هذه الكلمة في الأصل بإعجام الزاي في الموضعين، وقد نقل ابن تيمية في «الاستقامة» «2/ 271-272» عن الحسن هذه العبارة: «ما تجرع عبد جرعة أعظم من جرعة حلم عند الغضب وجرعة صبر عند المصيبة».

[112] عصارة شجر له ثمر كالفلفل.

قال وهب: مكتوب في الحكمة: قصر السفه النصَبُ، وقصر الحلم الراحة، وقصر الصبر الظفر[١١٣]. 453

قال أبو بكر الهذلي: قلت للحسن: أكان نساء المهاجرات يصنعن ما يصنع النساء اليوم قال: لا ولكن ههنا خمش وشق جيوب ونتف أشعار ولطم خدود ومزامير شيطان؛ صوتان قبيحان فاحشان: عند نعمة إن حدثت وعند مصيبة إن نزلت [١١٤]؛ ذكر الله المؤمنين فقال: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» [١١٥]؛ وجعلتم أنتم في أموالكم حقًا معلومًا للمغنية عند النعمة[١١٦] والنائحة عند المصيبة [١١٧].
455

---

[١١٣] قال ابن القيم: قصر الشيء وقصاراه: غايته وثمرته.

[١١٤] قال الحسن:صوتان ملعونان: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة. «الكبائر ص184»

[١١٥] المعارج «24-25».

[١١٦] بالأصل «النغمة» وهو تصحيف من ناسخ أو طابع.

[١١٧] قال الحسن: صوتان ملعونان: مزمار عند نعمة [في الأصل نغمه] ورنة عند مصيبة. «إغاثة اللهفان 1/ 255»

قال الحسن في قوله تعالى «أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ»[118]: أمرهم أن يصبروا على دينهم ولا يتركوه لشدة ولا رخاء ولا سراء ولا ضراء وأمرهم أن يصابروا الكفار وأن يرابطوا المشركين. 456

ولما مات عبد الملك ابنه صلى عليه ثم قال: رحمك الله لقد كنت لي وزيرًا، وكنت لي معينًا؛ قال [الراوي]: والناس يبكون وما يقطر من عينيه قطرة. 459

قال الحسن: إذا شئت رأيت بصيرًا لا صبر له، فإذا رأيت بصيرًا ذا صبر فهنالك[119]. 460

قال الحسن: حادثوا هذا القلوب فإنها سريعة الدثور؛ واقدعوا [120] هذه الأنفس فإنها طُلَعَةٌ [121]؛ وإنها تنازع إلى شر غاية؛ وإنكم إن لم

---

[118] آل عمران «200».

[119] رواية أخرى: قال الحسن:إذا شئت أن ترى بصيرًا لا صبر له رأيته؛ وإذا شئت أن ترى صابرًا لا بصيرة له رأيته؛ فإذا رأيت صابرًا بصيرًا فذاك. «الفوائد ص 200 و212»

[120] اقدعوا: كفوا؛ وتصحفت في «حلية الأولياء» إلى «واقرعوا».

تقدعوها[122] لم تبق من أعمالكم شيئًا؛ فتصبَّروا وتشددوا، فإنما هي ليال تعد، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت؛ فانقلبوا بصالح ما بحضرتكم؛ إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم؛ وإنما صبر على هذا الحق من عرف فضله ورجا عاقبته[123]. 461

---

[121] أي كثيرة التطلع إلى الشيء. وتصحفت في «حلية الأولياء» إلى «خليعة».

[122] ورد في بعض هذه المصادر «تقاربوها» أو «تطيعوها» أو «تزعوها» أو غير ذلك، والصواب «تقدعوها» وما كان بمعناها.

[123] قال المبرد في «الكامل» عقبه: «قوله «حادثوا» مثَل، ومعناه: اجلوا واشحذوا، تقول العرب: حادثَ فلانٌ سيفه، إذا جلاه وشحذه---والدثور: الدُّروس---ومعناه: تعهدوها بالفكر؛ وقوله «فإنها طُلَعة» يقول كثيرة التشوف والتنزي إلى ما ليس لها».

وجاء في «لسان العرب» «2/ 134»: «ومحادثة السيف جلاؤه وأحدث الرجل سيفه وحادثه إذا جلاه، وفي حديث الحسن: حادثوا هذه القلوب بذكر الله فإنها سريعة الدثور؛ معناه اجلوها بالمواعظ واغسلوا الدرن عنها وشوقوها حتى تنفوا عنها الطبع والصدأ الذي تراكب عليها من الذنوب وتعاهدوها بذلك كما يحادث السيف بالصقال».

عن عبد الله بن بكر المزني عن الحسن قال: إن هذا الحق جهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما صبر على هذا الحق من عرف فضله ورجا عاقبته؛ إن من الناس ناسًا قرأوا القرآن «لا يعلمون سنته»[١٢٤]؛ وإن أحق الناس بهذا القرآن من اتبعه بعمله وإن كان [١٢٥] لا يقرؤه؛ إنك لتعرف الناس ما كانوا في عافية، فإذا نزل بلاء صار الناس إلى حقائقهم: صار المؤمن إلى إيمانه، والمنافق إلى نفاقه. 462

قال الحسن في قوله تعالى «وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا»[١٢٦] قال: يقول الفقير: لو شاء الله لجعلني غنيًا مثل فلان، ويقول السقيم: لو شاء الله لجعلني صحيحًا مثل فلان، [و]يقول الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيرًا مثل فلان. 465

قال محمد بن علي الباقر لابنِهِ: يا بنيَّ إياكَ والكسلَ والضجَرَ، فإنهما مفتاحُ كلِّ شرٍّ، إنك إن كسلتَ لم تؤدِّ حقًّا وإن ضجرتَ لم تصبِرْ على حق. 466

---

[١٢٤] تصحفت في الزهد لأحمد إلى «لا يعملون سيئة».

[١٢٥] كانت «كانوا».

[١٢٦] الفرقان «20».

قال محمد الباقر بن علي بن الحسين[127]: ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع الذي نكره لم نخالف الله عز وجل فيما أحب. 469

كانَ أبو حازمٍ سلمة بن دينار يمرُّ على الفاكهةِ في السوقِ فيشتهيها فيقولُ: موعدُكِ الجنة. 470

قال جويرية بن أسماء: مر أبو حازم بجزار فقال: يا أبا حازم خذ من هذا اللحم فإنه سمين، قال: ليس معي درهم، قال: أنظرك، قال: أنا أنظر نفسي. 471

قالَ حبيبٌ بن أبي ثابت: ما استقرضتُ مِن أحدٍ شيئًا أحبَّ إليَّ من نفسي، أقولُ لها: أمهلي حتى يجيءَ مِن حيثُ أحب. 472

قال ميمون بن مهران: لا تجدُ غريمًا أهونَ عليكَ مِن بطنِكَ أو ظهرِك[128]. 473

عن سفيان عن رجل عن ابن منبه قال: لما بعث الله تبارك وتعالى موسى وهارون إلى فرعون قال: لا يرعْكما لباسه الذي لبس من

---

[127] قال ابن حجر في «التقريب»: ثقة فاضل من الرابعة.

[128] يعني أنَّ صبْرَ المرءِ على الجوع والعري والتعب أهون وأيسر من صبره على غلبة الدين له وتسلط الدائنين عليه.

الدنيا، فإن ناصيته بيدي، ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني؛ ولا يعجبْكما ما متع به منها فإنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائي وقديمًا ما خرت لهم في أمور الدنيا، إني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن موارد الهلكة وإني لأجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك العُرّة[١٢٩] وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفورًا لم يكلمه الطمع ولم تنتقصه الدنيا بغرورها إنما يتزين لي أوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى تثبت في قلوبهم فتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي إياه يؤملون ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون؛ فإذا لقيتهم فأخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك؛ واعلم أنه من أخاف لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة. «التواضع والخمول ص104-105» 475

---

[١٢٩] القذر وعذرة الناس.

قال خيثمة بن عبد الرحمن: تقول الملائكة: يا رب عبدك المؤمن تزوي عنه الدنيا وتعرضه للبلاء؟ قال: فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن ثوابه قالوا: يا رب لا يضره ما أصابه في الدنيا! قال: ويقولون: عبدك الكافر تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا قال: فيقول للملائكة: اكشفوا لهم عن عقابه، قال: فإذا رأوا عقابه قالوا: يا رب لا ينفعه ما أصابه من الدينا. 476

قال أبو حازم: نعمةُ اللهِ فيما زوَى عني من الدنيا أعظمُ من نعمتِهِ عليَّ فيما أعطاني منها، إنّي رأيتُهُ أعطاها قومًا فهلكوا[١٣٠]. «الشكر ص42 والحلية 3/ 233» 477

قال عمر بن سعيد: دعا سعيد بن جبير ابنه حين دعي ليقتل فجعل ابنه يبكي فقال: ما يبكيك؟! ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة؟!. 481 «صف3/ 80»

---

[١٣٠] عن جعفر بن برقان عن صالح بن مسمار قال: نعمة الله فيما زوى عني من الدنيا أفضل من نعمته فيما أعطاني. ص44

وعن عبد الله عن معمر سمعت صالح بن مسمار يقول: ما أدري أنعمته علي فيما بسط علي أفضل أم نعمته فيما زوى عني. ص69

قال الربيع بن أبي صالح: دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به إلى الحجاج وهو موثق، فبكيت، فقال: ما يبكيك؟! قلت: الذي أرى بك؛ قال: فلا تبكِ، فإن هذا قد كان في علم الله تعالى، ثم قرأ «مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا»[131]. «تاريخ واسط ص90» 482

قال بكار: كان ابن عون في مرضه أصبر مَن أنت راءٍ، ما رأيته يشكو شيئًا من علته حتى مات. «صفة 3/ 312» 484

لما ماتَ عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ كتبَ إلى الأمصارِ ينهى أن يُناحَ عليه، وكتبَ: إنَّ اللهَ أحبَّ قبضَهُ، وأعوذُ باللهِ أن أخالفَ محبتَه. 485

قال ميمون بن مهران: عزى رجل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك فقال عمر: الأمر الذي نزل بعبد الملك أمر كنا نعرفه فلما وقع لم ننكره[132].«تسلية أهل المصائب ص114» 486

---

[131] الحديد «22».

[132] كتب ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز يعزيه عن ابنه عبد الملك، فكتب إليه عمر: كتبت إلي تعزيني عن ابني عبد الملك وهو أمر لم أزل انتظره، فلما وقع لم أنكره. «البيان والتبيين 2/ 192»

قال هشام بن عروة: خرج أبي[133] إلى الوليد بن عبد الملك فوقع في رجله الاكلة، فقال له الوليد: يا أبا عبد الله أرى لك قطعها [134]؛ قال: فقطع وإنه لصائم، فما تضور وجهه؛ قال: ودخل ابن له، أكبر ولده، اصطبل الدواب فرفسته دابة فقتلته فما سمع من أبي في ذلك شيء حتى قدم المدينة فقال: اللهم إنه كان لي أطراف أربعة فأخذت واحدًا وأبقيت ثلاثة فلك الحمد، وكان لي بنون أربعة فأخذتَ واحدًا

وقال المبرد في «الكامل» «4/ 37»: «ومن أحسن القول في هذا المعنى في الاسلام: قول علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام [كذا] حين مات ابنه فلم يُرَ منه جزع، فسئل عن ذلك، فقال: أمر كنا نتوقعه [بالأصل نتوقه]، فلما وقع لم ننكره؛ وفي هذا زيادة تنتظر، وفضل تسليم لقضاء الله عز وجل».

[133] قال أبو بكر بن عبد الرحمن: العلم لواحد من ثلاثة: لذي حسب يزينه به، أو لذي دين يسوس به دينه، أو لمن يختلط بالسلطان ويدخل إليه يتحفه بعلمه وينفعه به، قال: ولا أعلم أحدًا جمع هذه الخلال إلا عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز فكلاهما جمع الحسب والدين ومخالطة السلطان. «الجامع ص186»

[134] قال الزهري: وقعت في رجل عروة الأكلة، قال: فصعدت في ساقه فبعث الوليد إليه الأطباء فقالوا: ليس لها دواء إلا القطع قال فقطعت فما تضور وجهه. «2/ 179»

وأبقيتَ لي ثلاثة[١٣٥] فلك الحمد، وأيمُ اللهِ لئن أخذتَ لقد أبقيتَ، ولئن أبليتَ طالما عافيت[١٣٦]. 487

---

[١٣٥] جاء في بعض الروايات ما فيه شيء من مخالفة لهذا الخبر، فقد ورد أنه لما شخص عروة من عند الوليد إلى المدينة أتته قريش والأنصار يعزونه في ابنه ورجله فقال له عيسى بن طلحة بن عبيد الله: يا أبا عبد الله قد صنع الله بك خيرًا؛ والله ما بك حاجة إلى المشي؛ فقال: ما أحسن ما صنع الله إليَّ، وهبَ سبعة بنين فمتعني بهم ما شاء، ثم أخذ واحدًا، وأبقى ستة، وأخذ عضوًا وأبقى لي خمسًا: يدين ورجلًا وسمعًا وبصرًا. «2/ 179»

[١٣٦] كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف ويقوم به ليله، فما تركه إلا ليلة قطْعِ رجلِه، ثم عاود حزبه من الليلة المقبلة؛ وتمثل عند القطع بأبيات معن بن أوس:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة

ولا حملتني نحو فاحشةٍ رجلي

ولا قادني سمعي ولا بصري لها

ولا دلني رأيي عليها، ولا عقلي

وأعلم أني لم تصبني مصيبة

قال يونس بن يزيد: سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ما منتهى الصبر؟ قال: أن يكون يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه.

«3/ 262 وعدة الصابرين ص79» 488

عن رجل من ولد عمار بن ياسر قال: كان عند علي بن الحسين [بن علي] قوم فاستعجل خادمًا له بشواء كان له في التنور فأقبل به الخادم مسرعًا وسقط السفود من يده على بني لعلي أسفل الدرجة فأصاب رأسه فقتله فقال علي للغلام: أنت حر، لمْ تعمده؛ وأخذ في جهاز إبنه. 489

قال ليث: حدثتُ طلحةَ في مرضِهِ الذي ماتَ فيهِ أنَّ طاووسًا كانَ يكرهُ الأنينَ، قال: فما سُمعَ طلحةُ يئنُّ حتى ماتَ رحمه الله. 491

قال اسحاق بن ابراهيم: مات ابن لشريح [القاضي] فلم يصيحوا عليه، ولم يشعر به أحد، فقيل له: يا أبا أمية [١٣٧] كيف هو؟ قال: قد

من الدهر إلا قد أصابت فتـى قبلـي

«2/ 178»

[١٣٧] في الأصل «آمنة».

سَكَن عَلَزُه[١٣٨] ورجاه أهله، ولم يكن منذ اشتكى أسكنَ منه الليلةَ [١٣٩].

492

عن الشعبي أن شريحًا قال: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي؛ وأحمده إذ رزقني الصبر

---

[١٣٨] العلز محركة: قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمحتضر.

[١٣٩] لما ماتَ ذرُّ بنُ عمرٍ بنِ ذرٍّ الهمداني - وكانَ موتُه فجأةً - جاء أباه أهلُ بيتِه يبكونَ، فقالَ: ما لكم؟! إنا واللهِ ما ظُلِمْنا ولا قُهِرْنا، ولا ذُهِبَ لنا بحقٍ، ولا أُخطِيءَ بنا، ولا أُريدَ غيرُنا، وما لنا على اللهِ معتَبٌ؛ فلما وضعهُ في قبرِه قالَ: رحمَكَ اللهُ يا بُنَيَّ، واللهِ لقدْ كنتَ بي بارًّا، ولقدْ كنتُ عليكَ حَدِبًا، وما بي إليكَ مِن وحشةٍ، ولا إلى أحدٍ بعدَ اللهِ فاقة، ولا ذهبتَ لنا بعزٍّ، ولا أبقيتَ علينا مِن ذُلٍّ، ولقدْ شغلَني الحزنُ لكَ عن الحزنِ عليك؛ يا ذرّ لولا هولُ المطلَعِ ومحشره لتمنيتُ ما صرتَ إليه؛ فليتَ شعري يا ذرّ ما قيلَ لكَ، وماذا قلتَ؟! ثمّ قالَ: اللهمَّ إنّكَ وعدتَني الثوابَ بالصبرِ على ذرّ، اللهمَّ فعلى ذرٍّ صلواتك ورحمتك؛ اللهم إني قد وهبتُ ما جعلتَ لي من أجرٍ على ذرٍّ لذرٍّ صلةٌ مني فلا تعرّفْهُ قبيحًا، وتجاوزْ عنه فإنكَ أرحم بهِ مني؛ اللهم وإني قد وهبتُ لذرٍّ إساءتَه إليَّ فهبْ له إساءتَه إليكَ فإنكَ أجودُ منّي وأكرمُ؛ فلما ذهب لينصرفَ قالَ: يا ذرّ قد انصرفنا وتركناك! ولو أقمنا ما نفعناك[١٣٩]. «5/ 108»

عليها؛ وأحمده إذ وفقني للإسترجاع لما أرجو فيه من الثواب؛ وأحمده إذ لم يجعلها في ديني. 493

قال محمد بن المنكدر: إني خلفت زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش وهو يخاصم نفسه في المسجد يقول: اجلسي أين تريدين؟! أين تذهبين؟! أتخرجين إلى أحسن من هذا المسجد؟! أنظري إلى ما فيه! تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان؟! قال: وكان يقول لنفسه: ما لك من الطعام يا نفس إلا هذا الخبز والزيت وما لك من الثياب إلا هذان الثوبان وما لك من النساء إلا هذه العجوز أفتحبين أن تموتي؟! فقالت: أنا أصبر على هذا العيش[١٤٠]. «محاسبة النفس 147 و صف2/ 105-106» 496

---

[١٤٠] قال الآجري في «الغرباء» «ص 83»: حدثنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشكلي قال حدثني محمد بن الحسين بن العلاء البلخي قال: سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: يا ابن آدم طلبت الدنيا طلب من لا بد له منها وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له إليها، والدنيا قد كفيتها وإن لم تطلبها، والآخرة بالطلب منك تنالها، فاعقل شأنك. وقال يحيى: ابن آدم حفت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء، إن صبرت نفسك على

قال خالد بن أبي عثمان القرشي: كان سعيد بن جبير يعزيني في ابني فرآني أطوف بالبيت متقنعًا، فكشف القناع عن رأسي وقال: الاستكانة من الجزع[141]. «عدة الصابرين ص 80 وتسلية أهل المصائب ص111» 497

مضض الدواء اكتسبت بالصبر عاقبة الشفاء، وإن جزعت نفسك على ما تلقى من ألم الدواء طالت بك علتك.

[141] وقع في التسلية «على أبي» بدل «في ابني»، و«الاستتار» بدل «الاستكانة».

وقال ابن القيم عقب هذا الأثر: «وأما قول كثير من الفقهاء من أصحابنا وغيرهم: «لا بأس أن يجعل المصاب على رأسه ثوبًا يعرف به»، قالوا: «لأن التعزية سنة، وفي ذلك تيسير لمعرفته حتى يعزيه»؛ ففيه نظر؛ وأنكره شيخنا؛ ولا ريب أن السلف لم يكونوا يفعلون شيئًا من ذلك، ولا نقل هذا عن أحد من الصحابة والتابعين؛ والآثار المتقدمة كلها صريحة في رد هذا القول؛ وقد أنكر اسحاق بن راهوايه أن يترك لبس ما عادته لبسه، وقال: هو من الجزع. وبالجملة فعادتهم أنهم لم يكونوا يغيرون شيئًا من زيهم قبل المصيبة، ولا يتركون ما كانوا يعملونه، فهذا كله مناف للصبر. والله سبحانه أعلم».

الرضا بالله تعالى وبقدره[١٤٢]

قال الحسن: إذا أراد [الله] قبْضَها [أي النفس] اطمأنت إلى ربها ورضيت عن الله فيرضى الله عنها. «المدارج 2/ 179» 498

---

[١٤٢] قال ابن القيم في «الفوائد» «ص87-88»:

الجاهل يشكو الله إلى الناس، وهذا غاية الجهل بالمشكو والمشكو إليه، فإنه لو عرف ربه لما شكاه، ولو عرف الناس لما شكا إليهم؛ ورأى بعض السلف رجلًا يشكو إلى رجل فاقته وضرورته فقال: يا هذا والله ما زدتَ على أن شكوتَ من يرحمك إلى من لا يرحمك؛ وفي ذلك قيل:

إذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

والعارف إنما يشكو إلى الله وحده؛ وأعرف العارفين من جعل شكواه إلى الله من نفسه لا من الناس، فهو يشكو من موجِبات تسليط الناس عليه، فهو ناظر إلى قوله تعالى «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» وقوله «وما أصابك من سيئة فمن نفسك» وقوله «أوَ لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم».

فالمراتب ثلاثة: أخسها أن تشكو الله إلى خلقه؛ وأعلاها أن تشكو نفسك إليه؛ وأوسطها أن تشكو خلقه إليه. انتهى.

قال عبد الواحد بن زيد: قلت للحسن: يا أبا سعيد من أين أُتي هذا الخلق؟ قال: من قلة الرضا عن الله، قلت: ومن أين أوتي [١٤٣] قلة الرضا عن الله؟ قال: من قلة المعرفة بالله. «روضة العقلاء ص 160»

499

قال فرقد السبخي: قرأت في التوراة: من أصبح حزينًا على الدنيا أصبح ساخطًا على ربه عز وجل؛ ومن جالس غنيًا فتضعضع له ذهب ثلثا دينه[١٤٤]، ومن أصابته مصيبة فشكا إلى الناس فإنما يشكو ربه عز وجل. «صفة3/ 272» 500

قال الأوزاعيُّ: كانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إذا عرَضَ له أمرٌ مما يكرهُ قالَ: بقدرٍ ما كانَ، وعسى أن يكونَ خيرًا. «5/ 315»

502

قال أشعث بن سعيد: قال ابن عون: لن يصيب العبد حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر كرضاه عند الغنى، كيف تستقضي الله في أمرك ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفًا لهواك ولعل ما هويت

---

[١٤٣] أي الخلق.

[١٤٤] كأن ثلثًا منهما يذهب بسبب مجرد مجالسته ورؤيته وسماع كلامه؛ والثلث الآخر يذهب للتضعضع له، والله أعلم.

من ذلك لو وفق لك: فيه هُلْكُك؛ وترضى قضاءه إذا وافق هواك ما أنصفت من نفسك ولا أصبت باب الرضا[١٤٥]. «صف3/ 311» 503

قال سفيان: دخلنا على زبيد فقلنا له: استشف الله، أو: شفاك الله، فقال: أستخير الله[١٤٦]. 504

عن محمد بن فضيل عن أبيه قال: دخلنا على طلحة بن مصرف نعوده فقال له أبو كعب: شفاك الله، فقال: استخير الله عز وجل.

«5/ 17» 505

قال الشيباني: أخبرني صديق لي قال: سمعني شريح وأنا أشتكي بعض ما غمني إلى صديق لي، فأخذ بيدي وقال: يا ابن أخي إياك والشكوى إلى غير الله! فإنه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقًا أو

---

[١٤٥] قال الدارمي في «سننه» «362»: أخبرنا عبد الله بن موسى عن عثمان بن الأسود عن عطاء قال: قال موسى: يا رب أي عبادك أحكم؟ قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه؛ قال: يا رب أي عبادك أغنى؟ قال: أرضاهم بما قسمت له؛ قال: يا رب أي عبادك أخشى لك؟ قال: أعلمهم بي.

[١٤٦] عن جرير عن فضيل قال: دخلت على زبيد الايامي وهو مريض، فقلت: شفاك الله، فقال: استخير الله. «5/ 30»

عدوًا، فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك، وأما العدو فيشمت بك.

«العقد الفريد 10/ 137-138» 508

اليقين

قال ميمون بن مهران: يقولُ أحدُهم[147]: اجلس في بيتِك وأ[غـ]ـلق عليكَ بابَك، وانظر: هل يأتيك رزقُك؟! نعم والله لو كان له مثل يقين مريم وإبراهيم عليهما السلام وأغلق بابه وأرخى عليه ستره. «4/ 87» 512

[147] أي ممن قلَّ يقينه بأن الله هو الذي يرزق عباده كما يشاء.

المراقبة

قال حفص بن عمر: قال الربيع بن خثيم: إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممت فاذكر علمه بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت فاذكر اطلاعه عليك، فإنه يقول تعالى: «إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا»[١٤٨].

«صفـ3/ 68» 513

قال إبراهيم التيمي: لقد أدركت سبعين شيخًا من أصحاب عبد الله[١٤٩]، أصغرُهم الحارثُ بنُ سويد فسمعته يقرأ «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ» حتى انتهى إلى قولِه «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»[١٥٠] فقال: إنَّ هذا لإحصاء شديد. «4/ 127» 514

قال إبراهيم: كان الرجل يأتي الحارث بن سويد فيشتمه، فإذا فرغ قال الحارث: «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»[١٥١]، كفى هذا إحصاءً. 515

---

[١٤٨] الإسراء «34».

[١٤٩] ابن مسعود.

[١٥٠] الزلزلة «7–8».

[١٥١] الزلزلة «7–8».

التواضع

خرج الحسن ويونس وأيوب يتذاكرون التواضع ، فقال لهما الحسن: وهل تدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلق [؟؟] مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلًا. «التواضع والخمول ص152»[152] 516

---

[152] وهذه آثار أخرى في هذا الباب أخذتها من «التواضع والخمول» لابن أبي الدنيا:

عن ثابت عن أنس بن مالك قال: كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان حتى إن أحدنا ليقذر؛ ويقول: خرج من مجرى البول مرتين. ص199

عن سليمان بن المغيرة قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام: طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارًا. ص202

عن ابن المرتفع سمع ابن الزبير في قوله تعالى «وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» [الذاريات 21] قال: سبيل الغائط والبول. ص204

عن ابن عباس في قوله تعالى «فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ» [عبس 24]، قال: إلى خرئه. ص204-205

قال ابن أبي الدنيا: حدثني أبو جعفر محمد بن أبي رجاء القرشي قال: قال محمد بن كناسة الأسدي:

كــــل شــيء ملحت من طعم الدنيا

وقـزحت فـــي ظهـــر الخـــوان

صـائـر بعـد أن تلقمـــه لـونـًا

ولكــــن مــن أخـبـث الألـوان

فإذا حـــان وقـــت إخراجـه منك

ففكـــــــــــــر في ذلة الإنسان

وإذا ما وضعته فـــي مــــكان

فالتفتْ واعتبــر بـــذاك المــكان

ص205

عن ابن عياش عن نافع بن جبير أنه قال: إن الناس يقولون: فيه تيه، والله لقد ركبت الحمار ولبست الشملة. ص210

عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة قال: من وضع وجهه لله ساجدًا فقد بريء من الكبر. «التواضع والخمول ص206» 517

قال الحسن: السجود يذهب بالكبر والتوحيد يذهب بالرياء. «التواضع والخمول ص273» 520

قال يونس بن عبيد: لا كبر مع السجود ولا نفاق مع التوحيد. «التواضع والخمول ص211»

قال معاوية بن عبد الكريم: ذكر عند الحسن الزهد فقال بعضهم: اللباس، وقال بعضهم: المطعم، وقال بعضهم: كذا، فقال الحسن:

عن عبد الله بن هبيرة أن سلمان سئل عن السيئة التي [لا] تنفع معها حسنة قال: الكبر. ص211

حدثني مفضل بن غسان عن أبيه قال: رأى العمري العابد رجلًا من آل علي يمشي يخطر فأسرع إليه فأخذه بيده فقال: يا هذا إن هذا الذي أكرمك الله به لم تكن هذه مشيته قال: فتركها الرجل بعد. ص218

عن جميل بن زيد قال: رأى ابن عمر رجلًا يجر إزاره فقال: إن للشيطان إخوانًا مرتين أو ثلاثًا. ص218

لستم في شيء الزاهد الذي إذا رأى أحدًا قال: هذا أفضل مني.

«الزهد الكبير ص79-80 وذم الدنيا 307»

قال سفيان بن عيينة: قال وهب بن منبه: لا يستكمل الرجل العقل حتى يستكمل عشر خصال: حتى يكون الخير منه مأمولًا والشر منه مأمونًا، وحتى لا يتبرم بكثرة حوائج الناس من قبله، وحتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى والذل أعجب إليه من العز والتواضع أحب إليه من الشرف، وحتى يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر قليل المعروف من غيره؛ والعاشرة وما العاشرة؟ بها شادَ مجده وعلا جدُّه: إذا خرج من بيته لم يلق أحدًا إلا رأى أنه خير منه. «المداراة ص47»

قال سعيدٌ: يدُ اللهِ فوقَ عبادِهِ، فمن رفعَ نفسَهُ وضعهُ اللهُ، ومن وضعَها رفعَهُ اللهُ، الناسُ تحتَ كنفِهِ يعملون أعمالَهم، فإذا أرادَ اللهُ فضيحةَ عبدٍ أخرجهُ مِنْ تحْتِ كنفِهِ فبدَتْ للناسِ عورتُه.

كان بكر بن عبد الله المزني إذا رأى شيخًا قال: هذا خير مني، عبَدَ الله قبلي؛ وإذا رأى شابًا قال: هذا خير مني ارتكبت من الذنوب أكثر مما ارتكب؛ وكان يقول: عليكم بأمر إن أصبتم أجرتم وإن أخطأتم لم تأثموا، وإياكم وكل أمر إن أصبتم لم تؤجروا وإن أخطأتم أثمتم!

قيل: ما هو؟ قال سوء الظن بالناس، فإنكم لو أصبتم لم تؤجروا وإن أخطأتم أثمتم.

قال بكر بن عبد الله: إنْ عرَضَ لك إبليسُ بأنَّ لكَ فضلًا على أحدٍ من أهلِ الإسلامِ فانظرْ: فإن كانَ أكبرَ منك فقلْ: قد سبقَني هذا بالإيمانِ والعملِ الصالحِ فهو خيرٌ مني، وإن كان أصغرَ منك فقلْ: قد سبقتُ هذا بالمعاصي والذنوبِ واستوجبتُ العقوبةَ فهو خيرٌ مني؛ فإنكَ لا ترى أحدًا مِن أهلِ الاسلام إلا أكبرَ منكَ أو أصغرَ منك [١٥٣]؛ قال: وإن رأيتَ إخوانَكَ المسلمينَ يكرمونك [١٥٤] ويعظمونك ويَصِلونك فقل أنتَ: هذا فضلٌ أخذوا به [١٥٥]، وإن رأيت منهم جفاءً وانقباضًا فقل: هذا ذنبٌ أحدثتُه [١٥٦]. «2/ 226 والمداراة ص53–54»

هَمَّ السراج [سراج عمر] ليلةً بأنْ يخمد فوثب إليه رجاء بن حيوة ليصلحه، فأقسم عليه عمر فجلس، ثم قام عمر فأصلحه؛ فقال له

---

[١٥٣] أي في السن.

[١٥٤] كان في الأصل «من» قبل «يكرمونك» فحذفتها تبعًا لرواية «المداراة».

[١٥٥] أي قل: إن ذلك من فضلهم وكرمهم وإحسانهم وتغافلهم عن نقص إخوانهم وعن زلاتهم من غير أن تظن أنك أهلٌ لذلك الإكرام والتعظيم.

[١٥٦] أي وقع ذلك الجفاء بسبب ذنب من الذنوب.

رجاء: أتقوم يا أمير المؤمنين؟! قال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز. «الكامل 1/ 237»

عن الأعمش قال: ربما رأيت مع إبراهيم التيمي الشيء يحمله، يقول: إني لأرجو فيه الأجر يعني في حمله. «التواضع والخمول ص147»

عن عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد قال: ما رأيت محمد بن واسع إلا وكأنه يبكي وكان يجلس مع المساكين والبكائين. «التواضع والخمول ص149»

قال حميد: كانت قيمة ثياب بكر بن عبد الله أربعة آلاف، وكان يجالس الفقراء والمساكين يحدثهم ويقول إنه يعجبهم ذلك[١٥٧].

غاب ابن لمطرف فلبس جبة وأخذ عصا أو قصبة في يده وقال: أتمسكن لربي لعله يرحمني فيرد علي ولدي. «2/ 209»

عن مسعر قال: مر الحسين بن علي [على] مساكين وقد بسطوا كساءً وبين أيديهم كسرًا [كذا] فقالوا: هلم يا أبا عبد الله فحول وركه

[١٥٧] يعني أنهم يسرهم أن يجلس إليهم الغني أو المهيب من الناس جلسة تواضع وأخوة.

وقرأ «إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ»[158]؛ فأكل معهم ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني فقال للرباب – يعني امرأته: أخرجي ما كنت تدخرين.

قال عمرو بن قيس الملائي: ثلاث من رؤوس التواضع: أن تبدأ بالسلام على من لقيت، وأن ترضى بالمجلس الدون من الشرف، وأن لا تحب الرياء والسمعة والمدحة في عمل الله. «5/ 101»

عن مجاهد قال: إن الله لما أغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه. «التواضع والخمول ص155»

عن المسيب بن رافع عن عامر بن عبد الله قال: من تواضع تخشعًا رفعه الله ومن تكبر تعظمًا وضعه الله.

قال يزيدُ بن ميسرة: كانت أحبارُ بني اسرائيلَ، الصغيرُ منهم والكبيرُ، لا يمشي إلا بالعصا، مخافةَ أن يَختالَ في مِشيتِهِ إذا مشى[159].

---

[158] النحل «23».

[159] وهذه آثار أخرى في الباب انتقيتها من «التواضع والخمول» لابن أبي الدنيا:

عن يوسف بن أسباط قال: يجزئ قليل الورع من كثير العمل، ويجزىء قليل التواضع من كثير الاجتهاد. «ص141»

عن إبراهيم بن الأشعث قال: سألت الفضيل عن التواضع قال: التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه. «ص141-142»

عن أبي صالح الفراء قال: سمعت ابن المبارك يقول: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تُعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل. «ص142»

عن إسماعيل بن ذكوان قال: دُخل على النجاشي في عقب نعمة، قال: وعليه أطلاس وهو مرسل رأسه فقال بعض القوم: أيها الملك أو لم تنبئنا أن قد سررت؟! قال: بلى، قال: ما هذه الاستكانة؟! قال: إني قرأت فيما أوحى الله تبارك وتعالى إلى عيسى بن مريم: إذا أنعمت عليك نعمة فاستقبلها بالاستكانة أتمها عليك. «ص143»

عن عمرو بن مرداس عن كعب قال: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة؛ وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقًا من النار يعذبه به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. «ص143-144»

عن إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: قال يحيى بن الحكم بن أبي العاص لعبد الملك: أي الرجال أفضل؟ قال: من تواضع عن رفعة وزهد على قدرة وترك النصرة على قوة. «التواضع والخمول ص 144 والإشراف على منازل الأشراف ص209»

عن زكريا بن أبي خالد البلدي قال: دخل ابن السماك على هارون فقال: يا أمير المؤمنين والله لتواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك، فقال: ما أحسن ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن امرءًا آتاه الله جمالًا في خلقه وموضعًا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كُتب في ديوان الله من خالص الله، قال: فدعى هارون بدواة وقرطاس وكتب هذا الكلام بيده. «ص 144- 145»

عن يونس بن حلبس قال: كان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلًا له من خشب حتى يأتي حمام أبان. «ص145»

عن علوان بن داود البجلي حدثني شيخ من همدان عن أبيه قال: بعثني قومي في الجاهلية بخيل أهدوها لذي الكلاع فأقمت ببابه سنة لا أصل إليه ثم أشرف إشرافة على الناس من غرفة له فخروا له سجودًا ثم جلس فلقيته بالخيل فقبلها، ثم لقد رأيته بحمص وقد أسلم يحمل الدرهم اللحم فيبتدره قومه ومواليه فيأخذونه منه فيأبى تواضعًا وقال:

أفٍّ لذي الدنيا إذا كانت كذا أنا منها كلَّ يوم فـي أذى

ولقد كنتُ إذا ما قيـل: من أنعم الناس معاشًا؟ قيل: ذا

ثم بدلتُ بعيش شقوةً حبذا هذا شقاءً؛ حبذا

«ص140»

عن الأصبغ بن نباتة قال: كأني أنظر إلى عمر بن الخطاب معلقًا لحمًا في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله. «ص147»

عن صالح بياع الأكسية عن أمه أو جدته قالت: رأيت عليًا اشترى تمرًا بدرهم فحمله في ملحفته فقلت أحمل عنك يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل.

«ص148»

عن حكيم بن محمد الأحمسي قال: كان سليمان بن داود إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول: يا رب مسكين مع مساكين. «ص148»

قال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال: قال بعض الناس كما تكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعة.

«ص150»

رحمة الخلق

عن يزيد بن عبد الله عن أخيه مطرف قال: إن الله ليرحم برحمة العصفور.

عن الأوزاعي عن القاسم [بن مخيمرة] أنه كره صيد الطير أيام فراخه.

كانَ لعمرَ بن عبد العزيز غلامٌ يعملُ على بغلٍ لهُ يأتيهِ بدرهَمٍ كلَّ يومٍ، فجاءه يومًا بدرهمٍ ونصفٍ، فقالَ: ما بدا لك؟! فقالَ: نفقَتِ السوقُ، قال: لا، ولكنكَ أتعبتَ البغلَ! أرحْهُ ثلاثةَ أيامٍ.

عن عبد المؤمن الموصلي قال: قال صدقة القاري: العجب للغني إذا جلس يحدث المسكين كيف لا يستحيي منه. «ص150»

عن مسلمة بن جعفر عن سعد الطائي قال: كان عيسى بن مريم يقول: طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنائر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يورَّثون الفردوس يوم القيامة، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله يوم القيامة. «ص154»

انتهى ما أردت نقله في هذا الموضع عن كتاب «التواضع والخمول» لابن أبي الدنيا.

قال يوسف بن عطية الصفار: رأيت الحسن البصري قاعدًا في الشمس يفُتُّ لُبابَ الخبز للنمل

الحياء

قال وهب بن منبه: كان إذا كانَ في الصبي خلقان الحياء والرهبة طُمعَ [في] رشده.

الوفاء بالوعدِ، وأداءُ الأمانة، الخيانة و إفشاء السر

قال الأعمش: يضيق صدر أحدهم بسره حتى يحدث به ثم «يقول: اكتمه عليّ!!. «روضة العقلاء ص191

قال الحسن: إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك. «الصمت ص214

كان أبو بكر بن عبد الرحمن [بن الحارث] حارسًا لعروة حتى إنه أودع مالًا فأصيب؛ فقال له عروة: لا ضمان عليك! قال: قد علمتُ ولكن لا تتحدثْ قريش أن أمانتي خربت؛ فباع مالًا له فقضاه.

مشاورة أهل الدينِ والنصحِ والعقلِ الرجيح

قال تعالى: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ» [١٦٠]؛ قال قتادة: أمره بمشاورتهم تألفًا لهم وتطييبًا لأنفسهم؛ وقال الضحاك: أمره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل؛ وقال الحسن البصري: أمره بمشاورتهم ليستن به

---

[١٦٠] آل عمران «159».

المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وإن كان عن مشورتهم غنيًا. «أدب الدنيا والدين ص473»

قال الحسن: لا يندم من شاور مرشدًا. «روضة العقلاء ص193»

قال وهب بن منبه: في التوراة أربعة أحرف مكتوبة: من لم يشاور يندم؛ ومن استغنى استأثر؛ والفقر الموت الأحمر؛ وكما تَدين تُدان. «روضة العقلاء ص192»

قال الحسن: والله ما استشار قوم قط إلا هدوا لأفضل ما بحضرتهم ثم تلا «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ»[١٦١]. «الأدب المفرد ص 100 وانظر روضة العقلاء ص192 و193»

الحلم والعفو وسلامة الصدر والصبرُ على أذى الناس ومداراتُهم

قال رجاء بن حيوة: الحلمُ أرفع من العقل، لأن الله تَسمّى به.

قالَ الربيعُ بن خثيم: الناسُ رجلانِ: مؤمنٌ وجاهلٌ، فأما المؤمنُ فلا تؤذِهِ، وأما الجاهلُ فلا تجاهلْه.

قال بكرُ بنُ عبدِ اللهِ المزني: لا يكونُ الرجلُ تقيًا حتى يكونَ بطيءَ الطمَعِ بطيءَ الغضب.

---

[١٦١] الشورى «38».

كان بكر بن عبد الله يقول: أطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم.

«البيان والتبيين 3/ 141»

كان بكر بن عبد الله يقول: أطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم.

«البيان والتبيين 3/ 141»

قال الحسن: من كانت له أربع خلال حرمه الله على النار وأعاذه من الشيطان: من يملك نفسه عند الرغبة والرهبة وعند الشهوة وعند الغضب.

قال يحيى بن أبي كثير: لا يعجبْكَ حلمُ امرئٍ حتى يُغْضَبَ، ولا أمانتُهُ حتى يُطْمَعَ، فإنّكَ لا تدري على أيِّ شقيه يقع.

قال أبان بن أبي راشد القشيري: كنت اذا أردت الصائفةَ [١٦٢] أتيتُ ميمونَ بنَ مهران أودعُه فما يزيدني على كلمتين: اتقِ اللهَ ولا يغيِّرْكَ طمعٌ ولا غضبٌ.

كان عون بن عبد الله إذا غضب على غلامه قال: ما أشبهك بمولاك[١٦٣]! أنت تعصيني وأنا أعصي الله، فإذا اشتد غضبه قال: أنت حرٌّ لوجه الله. «روضة العقلاء ص139»

---

[١٦٢] هي الغزوة في الصيف.

قالَ الشعبيُّ: زينُ العلمِ حلمُ أهله.

قال رجاء بن حيوة: يقالُ: ما أحسنَ الاسلامَ يزينُهُ الإيمانُ، وما أحسنَ الإيمانَ يزينُه التُّقى، وما أحسنَ التُّقى يزينهُ العلمُ، وما أحسنَ العلمَ يزينه الحلمُ، وما أحسنَ الحلمَ يزينه الرفقُ.

قال إسماعيل بن أبي حكيم: غضب عمر بن عبد العزيز يومًا فاشتد غضبه وكان فيه حدة وعبد الملك[١٦٤] حاضر فلما سكن غضبه قال: يا أمير المؤمنين أنت في قدر نعمة الله عليك وموضعك الذي وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب ما أرى؟! قال: كيف قلت؟ فأعاد عليه كلامه فقال: أما تغضب يا عبد الملك؟ فقال: ما تغني سعة جوفي إن لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر منه شيء أكرهه.

دخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة فمر برجل نائم فعثر به فرفع رأسه وقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا، فهم به الحرس

---

[١٦٣] يعني نفسه.

[١٦٤] ابن عمر.

فقال عمر: مه، إنما سألني: أمجنون؟ فقلت: لا. «مختصر منهاج القاصدين ص237»

قال عمر بن عبد العزيز: ثلاث من كن فيه فقد كمل: من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله؛ ولم يستزله رضاه إلى معصية الله؛ وإذا قدر عفا وكفّ. «الكامل 1/ 116»

كان لابن عون جمل يستقى الماء فإذا غلام ابن عون قد ضرب الجمل فذهب بعينه فجاء الغلام وقد أرعب وظن أنهم قد شكوه فلما رآه قد أرعب قال: اذهب فأنت حر لوجه الله عز وجل.

قال عبد الغفار بن القاسم: كان علي بن الحسين [بن علي] خارجًا من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالي فقال علي بن الحسين: مهلًا عن الرجل، ثم أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر! ألك حاجة نعنيك عليها؟! فاستحيا الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول.

قال أبو يعقوب المدني: كان بين حسن بن حسن وبين علي بن الحسين بعض الأمر فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين وهو مع

أصحابه في المسجد فما ترك شيئًا إلا قاله له؛ قال: وعلي ساكت؛ فانصرف حسن فلما كان في الليل أتاه في منزله فقرع عليه بابه فخرج إليه فقال له علي: يا أخي إن كنت صادقًا فيما قلت لي فغفر الله لي وإن كنت كاذبا فغفر الله لك السلام عليكم وولى قال فاتبعه حسن فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له ثم قال: لا جرم لا عدت في أمر تكرهه؛ فقال علي: وأنت في حل مما قلت لي[١٦٥].

قال عروة بن الزبير: رب كلمة ذل احتملتها أورثتني عزًا طويلًا.

قيل للأحنف بن قيس: ما الحلم؟ قال: أن تصبر على ما تكره

---

[١٦٥] قال سفيان: جاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنه فقال له: إن فلانا قد آذاك ووقع فيك قال: فانطلق بنا إليه فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه فلما أتاه قال: يا هذا إن كان ما قلتَ فيَّ حقًا فغفر الله لي، وإن كان ما قلتَ فيَّ باطلًا فغفر الله لك. «صف2/ 94»

كلم رجل زين العابدين فافترى عليه فقال: إن كنا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك، فقام إليه الرجل فقبل رأسه وقال: جُعلتُ فداك، ليس كما قلتُ أنا، فاغفر لي؛ قال: غفر الله لك؛ فقال الرجل: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» [الأنعام 124]. «صف2/ 95»

قال معاوية بن هشام لخالد بن صفوان: بم بلغ فيكم الأحنف بن قيس ما بلغ؟ قال: إن شئت حدثتك ألفًا وإن شئت حذفت لك الحديث حذفًا، قال: احذفه لي حذفًا، قال: فإن شئت فثلاثًا، وإن شئت فاثنتين، وإن شئت فواحدة، قال: ما الثلاث؟ قال: كان لا يشره ولا يحسد ولا يمنع حقًا، قال: فما الثنتان؟ قال: كان موفقا للخير معصومًا من الشر؛ قال: فما الواحدة؟ قال: كان أشد الناس على نفسه سلطانًا. «صفـ3/ 199»

وقف رجل عليه مقطَّعات على الأحنف يسبه – وكان عمرو بن الأهتم جعل له ألف درهم على أن يسفِّه الأحنف – فجعل لا يألو أن يسبه سبًا يُغضِبُ والأحنفُ مطرِقٌ لا يكلمه؛ فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعضُّ إبهامه ويقول: يا سوأتاه! والله ما يمنعه من جوابي إلا هواني عليه!

قال الأحنف: لا تزال العرب عربًا ما لبست العمائم وتقلدت السيوف ولم تعدُد الحِلم ذلًا ولا التواهب[166] فيما بينها ضَعةً. «الكامل 1/ 179»

[166] وهو أن يهب الرجل من حقه ما لا يستكره عليه.

عن سعيدِ بنِ سويدٍ، من حرسِ عمرَ بنِ عبدِ العزيز، قال: صلى بنا عمرُ بنُ عبدِ العزيز الجمعةَ ثم جلس وعليه قميصٌ مرقوعُ الجيبِ مِن بين يديه ومن خلفه! فقال له رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبستَ! فنكَّسَ مليًّا ثم رفع رأسَه إليه فقالَ: إن أفضلَ القصدِ عند الجِدَة، وأفضلَ العفوِ عند المقدرة.

قال عمر بن عبد العزيز: أحب الأمور إلى الله ثلاثة: العفو في القدرة، والقصد في الجِدَة، والرفق في العبادة[١٦٧]، وما رَفَق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة. «روضة العقلاء ص167»

سُرِقَ للربيعِ بن خثيم فرَسٌ، فقالَ أهلُ مجلسِهِ: ادعُ اللهَ عليهِ! قالَ: بلْ أَدْعُ اللهَ له، اللهم إن كانَ غنيًا فأَقْبِلْ بقلبِهِ، وإنْ كانَ فقيرًا فأَغْنِه.

قال إياس بن معاوية: كان أفضلهم عندي، يعني الماضين، أسلمهم صدرًا وأقلهم غيبة.

---

١٦٧ لعلها «العباد» بدل «العبادة».

قال سفيان بن دينار التمار: سألتُ ماهانَ الحنفيَّ: ما كانت أعمال القوم؟ قال: كانت أعمالُهم قليلةً وكانت قلوبُهم سليمةً.

عن الأعمش عن إبراهيم قال: جاء رجل إلى علقمة فشتمه فقال علقمة: «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا»[١٦٨] الآية، فقال الرجل: أمؤمن أنت؟! قال: أرجو.

قال أبو حازم: لا تكون عالمًا حتى تكون فيك خصال: لا تبغ على من فوقك ولا تحقر من دونك ولا تأخذ على علمك دنيا.

عن ابن جريج عن مجاهد: «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا»[١٦٩] قال: إذا أوذوا صفحوا. «المداراة ص39-40»

عن سفيان عن السدي: «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا»[١٧٠] قال: لم يكلموهم.

---

[١٦٨] الأحزاب «58».

[١٦٩] الفرقان «72».

[١٧٠] الفرقان «72».

عن سفيان الثوري عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال: أدركت الناس يعدون المداراة صدقة تخرج فيما بينهم، وكان يقال: إذا بلغك عن أخيك ما تكره فالقَهُ بما يحب فإنك تقضمه جمرته وهو لا يشعر.

قالَ عبدُ العزيز بن عمر: قال لي أبي: يا بنيَّ إذا سمعتَ كلمةً من امرئٍ مسلمٍ فلا تحملْها على شيءٍ من الشرِّ ما وجدتَ لها محملًا من الخير[١٧١].

عن كنانة بن جبلة قال: قال بكر بن عبد الله: ما عليك أن تنزل الناس منزلة أهل البيت فتنزل من كان أكبر منك منزلة أبيك وتنزل من كان منهم قرينك منزلة أخيك وتنزل من كان أصغر منك منزلة ولدك فأي هؤلاء تحب أن يهتك ستره؟!. «المداراة ص54»

قال مكحول: التقى يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام فضحك عيسى في وجهه يحيى وصافحه فقال له يحيى: يا ابن خالتي أراك ضاحكًا كأنك قد أمنت! فقال له عيسى: يا ابن خالتي ما

---

[١٧١] لفظ كتاب «المداراة» هو: «فاحملها على أحسن ما تجد حتى لا تجد محملًا». وقد ورد هذا الأثر في «المداراة» «ص50» منسوبًا إلى عمر بن الخطاب.

لي أراك عابسًا كأنك قد يئست؟! فأوحى الله تعالى إليهما أن أحبكما إلي أبشكما لصاحبه. «المداراة ص 63 والإخوان ص 193 والحلية 5/181»

قال سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي: يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحاك، فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بعُبوس يَمُنُّ عليك بعمله فلا أكثر الله في القراء ضرْبَ هذا[172]. «روضة العقلاء ص 76 والمداراة ص 65»

قال أبو سنان: قلت لسعيد بن جبير: المجوسي يوليني من نفسه ويسلم علي أفأرد عليه؟ فقال سعيد: سألت ابن عباس عن نحو من ذلك فقال: لو قال لي فرعون خيرًا لرددت عليه «أي رد عليه بالخير». «المداراة ص 93-94»

قال هشام بن عروة بن الزبير: عطس نصراني طبيب عند أبي فقال له: رحمك الله؛ فقيل له: إنه نصراني! قال أبي: رحمة الله على العالمين.

---

[172] أي مثيله وشبيهه.

قال وهب بن منبه: ثلاث من كن فيه أصاب البر: سخاوة النفس والصبر على الأذى وطيب الكلام. «المداراة ص 95 والصمت ص180»

قال قتادة: قال لقمان لابنه: أي بني اعتزل الشر كيما [١٧٣] يعتزلك، فإن الشر للشر خلق. «المداراة ص113-114»

قال زيد بن أسلم: إن لقمان قال لابنه: من قال الشر يطفئ الشر فإن كان صادقًا فليوقد نارًا عند نار ثم لينظر هل تطفئ إحداهما الأخرى، ألا فإن الخير يطفئ الشر كما يطفئ الماء النار. «المداراة ص114»

قال الشعبي: قال ابن صوحان لابن زيد أنا كنت أحب إلى أبيك منك، وأنت أحب إلي من ابني، خصلتان أوصيك بهما احفظهما مني: خالق الفاجر وخالص المؤمن فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن. «المداراة ص38»

قال عروة بن الزبير: مكتوب في الحكمة: لتكن كلمتك طيبةً، وليكن وجهك بسطًا، تكن أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم العطاء. «المداراة ص49 والحلية 2/ 178»

---

[١٧٣] في الأصل الذي نقلت منه «كما».

قال محمد بن الحنفيةِ: ليسَ بحكيمٍ مَن لمْ يعاشِرْ بالمعروفِ مَن لا يجدُ بدًّا مِن معاشرتِه حتى يجعلَ اللهُ له فرجًا ومخرجًا [١٧٤]. «3/ 175 و 8/ 1

عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن الورد قال: جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال إني قد حدثت نفسي أن لا أخالط الناس فما ترى؟ قال: لا تفعل إنه لا بد للناس منك ولا بد لك منهم لك إليهم حوائج ولهم إليك حوائج ولكن كن فيهم أصم سميعًا أعمى بصيرًا سكوتًا نطوقًا. «المداراة ص42»

قال أيوبُ السختيانيُّ: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكونُ منهم. «مكارم الأخلاق ص28 والمداراة ص46 والحلية 3/ 5»

قال الحسن البصري: التودد إلى الناس نصف العقل

---

[١٧٤] روى هذا الحديث ابن المبارك وقال في آخره في رواية بعض المصادر المذكورة: «لولا هذا الحديث ما جمعني وإياكم على حديث»؛ وفي بعضها: «هذا مثلي ومثلكم».

قال ميمون بن مهران: التودد إلى الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف العلم، واقتصادك في معيشتك يُلقي عنك نصف المؤونة. «روضة العقلاء ص65 والشعب 4/ 167 و 5/ 254»

قال أبو مسلم: كانَ الناسُ ورقًا لا شوكَ فيهِ، فإنهم اليومَ شوكٌ لا ورقَ فيه، إنْ سابَبْتَهمسابّوك، وإنْ ناقدْتهم ناقَدوكَ، وإن تركتَهم لمْ يتركوكَ. وإنْ نفَرتَ[175] منهمْ يُدْرِكوكَ، قال له مخاطَبُه: فما أصنع؟ قال: هبْ عِرضَكَ ليومِ فقرِكَ، وخذْ شيئًا من لا شيء [176]. «2/ 123-124 والمداراة ص96»

قال أبو شعبة الطحان: سمعت سالم بن عبد الله يقول: إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر

---

[175] لعل صواب هذه الكلمة «فررت» أو «تفر» كما في «المداراة».

[176] عن يحيى بن سعيد قال قال أبو الدرداء: أدركت الناس ورقًا لا شوك فيه فأصبحوا شوكًا لا ورق فيه إن نقدتهم نقدوك وإن تركتهم لا يتركوك! قالوا: فكيف نصنع؟ قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك. «المداراة ص31-32»

وعن مكحول عن أبي أمامة قال: كان الناس كشجرة ذات جنى ويوشك أن يعودوا كشجرة ذات شوك. «المداراة ص101»

قال عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لابنه محمد: إياك ومعاداة الرجال، فإنها لا تُعدمُكَ مكرَ حليم، أو مباذاة[١٧٧] جاهل. «روضة العقلاء ص98»

قالَ عمر بن عبد العزيز: ما طاوعني الناسُ على ما أردتُ منَ الحقِّ حتى بسطتُ لهم من الدنيا شيئًا. «5/ 290»

قال الحسن: سأل موسى جماعًا من العمل فقيل له: انظر ما تريد أن يصاحبك به الناس فصاحب الناس به. «المصنف 7/ 74»

قال مجاهد: سأل يحيى بن زكريا ربه عز وجل قال: ربِّ اجعلني أَسْلَمُ على ألسنة الناس ولا يقولون فيَّ إلا خيرًا! قال: فأوحى الله عز وجل إليه: يا يحيى لم أجعل هذا لي فكيف أجعله لك؟! «الزهد الكبير ص104»

قال الربيع بن صبيح: قلت للحسن: إن ههنا قومًا يتبعون السقط من كلامك ليجدوا إلى الوقيعة فيك سبيلًا! فقال: لا يكبر ذلك عليك! فلقد أطمعت نفسي في خلود الجنان فطمعت، وأطمعتها في مجاورة الرحمن فطمعت، وأطمعتها في السلامة من الناس فلم أجد إلى

---

[١٧٧] المباذاة: البذاءة والسفه بالسباب والشتم ونحوهما.

ذلك سبيلًا، لأني رأيت الناس لا يرضون عن خالقهم فعلمت أنهم لا يرضون عن مخلوق مثلهم.

الرفق

قالَ عبدُ الملِك بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ لأبيهِ عمرَ: ما يمنعُك أن تنفذَ لرأيك في هذا الأمر[178] فوالله ما كنتُ أبالي أن تَغلي بي وبكَ القدورُ في إنفاذِ الأمرِ، فقال عمر: إني أروضُ الناسَ رياضةَ الصعْبِ [179]، فإن أبقاني اللهُ مضيتُ لرأيي؛ وإن عجلتْ عليَّ منيةٌ فقد علمَ اللهُ نيتي؛ إني أخافُ إن بادهتُ[180] الناسَ بالتي تقولُ أن يُلْجِئوني إلى السيفِ، ولا خيرَ في خيرٍ لا يجيءُ إلا بالسيف. «5/ 281»

دخل عبد الملك بن عمر على عمر فقال: يا أميرَ المؤمنين إن لي إليك حاجة فأخْلني وعنده مسلمة بن عبد الملك، فقال له عمر: أسرٌّ دونَ عمِّك؟! فقالَ: نعم، فقام مسلمة وخرج وجلس بين يديه فقال له: يا أميرَ المؤمنينَ ما أنت قائلٌ لربك غدًا إذا سألك فقال: رأيتَ

---

[178] يعني من إصلاح أخطاء من تقدمه من الخلفاء والأمراء وإقامة الحق بلا أدنى تهاون أو مجاملة، فلا محاباة عنده لقوي ولا قريب ولا شريف ولا نسيب.

[179] جاء في «مختار الصحاح» «ص 152»: «الصَّعْبُ: نقيضُ الذلولِ، وامرأة صَعْبةٌ، والمُصْعَبُ: الفحل، وأصْعَبْتُ الجملَ فهو مُصْعَبٌ، إذا تركتَه فلم تركبه ولم يمسه حبل؛ وصَعُبَ الأمرُ مِن باب سهل: صار صَعْبًا؛ واسْتَصْعَبَ أيضًا».

[180] لعلها «بادرت».

بدعةً فلم تُمِتْها أو سنةً لم تُحْيها؟! فقال له: يا بني أشيء حمَّلَتْكَه الرعيةُ إلي أم رأي رأيتَه مِن قِبل نفسك؟! قال: لا والله ولكن رأيٌ رأيتُه مِن قبَل نفسي وعرفتُ أنك مسئولٌ فما أنتَ قائلٌ؟! فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك مِن ولدٍ خيرًا فوالله إني لأرجو أن تكونَ من الأعوانِ على الخيرِ؛ يا بنيَّ إنَّ قومَك قد شدوا هذا الأمرَ عقدةً عقدةً وعروةً عروةً، ومتى ما أريدُ مكابرتَهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليَّ فتقًا تكثر فيه الدماء؛ والله لزوالُ الدنيا أهونُ علي من أن يهراقَ في سببي محجمة من دم! أوَما ترضى أن لا يأتي على أبيك يومٌ من أيامِ الدنيا إلا وهو يُميت فيه بدعةً ويحيي فيه سنةً حتى يحكمَ الله بيننا وبين قومِنا بالحقِّ وهو خيرُ الحاكمين.

قال محمد الباقر: من أُعطي الخُلق والرفق فقد أعطي الخير كله والراحة، وحسُنَ حالُه في دنياه وآخرته، ومن حُرم الرفقَ والخُلقَ كان ذلك له سبيلًا إلى كل شر وبلية إلا من عصمه الله تعالى.

النظافة

قال مكحول: مَن نظف ثوبه قلَّ همُّه، ومن طابت ريحه زاد عقله، ومن جمع بينهما زادت مروءته. «صيد الخاطر ص170»[181]

رأى طاووس رجلًا مسكينًا في عينيه عمش وفي ثوبه وسخ فقال له: عُدْ أنَّ الفقر من الله فأين أنت عن الماء؟![182] «4/ 14»

آداب الاعتذار ومعانيه

قال ابن عون: اعتذر رجل عند إبراهيم فقال: قد عذرناك غير معتذر إن الإعتذار يخالطه الكذب. «الصمت ص 248 والحلية 4/ 224 والبيان والتبيين 1/ 194»

---

[181] طبعة دار البيان.

[182] عن المطلب بن زياد عن عبد الملك بن عمير قال: إن الله إذا أحب عبدًا حسن خلقه وخلقه. «التواضع والخمول ص188»

عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال أن نفرًا أرادوا سفرًا فأتوا عائشة فقالوا: يا أم المؤمنين من يؤمنا؟ قالت: اقرؤكم لكتاب الله، قالوا: كلنا في القراءة سواء، قالت: فأعلمكم بالسنة، قالوا: كلنا في السنة سواء؛ قالت: فأقدمكم في الهجرة، قالوا: كلنا في الهجرة سواء، قالت: فأحسنكم وجهًا عسى أن يكون أحسنكم خلقًا. «التواضع والخمول ص190»

سمعَ طلحةُ بن مصرف رجلًا يعتذرُ إلى رجلٍ فقالَ: لا تكثر الاعتذارَ إلى أخيكَ، أخافُ أنْ يبلغَ بكَ الكذبَ.

الأدب ومكارم الأخلاق

قال طاوس: إن هذه الأخلاق منائح يمنحها الله من يشاء من عباده فإذا أراد الله بعبد خيرًا منحه منها خلقًا صالحًا.

قال عبد الملك بن عمير: إن الله عز وجل إذا أحب عبدًا حسن خلقه وخلقه. «المداراة ص79-80»

قال حميد بن هلال: دخلت الكوفة وجلست إلى الربيع بن خثيم فقال: يا أخا بني عدي عليك بمكارم الأخلاق فكن بها عاملًا ولها صاحبًا واعلم أن الذي خلق مكارم الأخلاق لم يخلقها ولم يدل عليها حتى أحبها وحببها إلى أهلها.

عن هلال بن أيوب قال: سئل الشعبي عن حسن الخلق؟ قال: البذلة والعطية والبشر الحسن؛ قال هلال: وكان الشعبي كذلك.

سئل الحسن عن حسن الخلق؟ قال: الكرم والبذلة والاحتمال[١٨٣].

---

[١٨٣] وفي «مجموع الفتاوى» «7/ 9»: قيل للحسن البصري: ما حسن الخلق؟ قال: بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه.

قال ابن سيرين: ثلاثة ليس معهم[184] غربة: حسن الأدب وكف الأذى ومجانبة الريب[185].

عن ابن عون أن محمد [بن سيرين] كان يحدثهم أن حُسْنَ الخلق عون على الدين.

قال ليث: كنت أمشي مع طلحة فقال: لو علمت أنك أسنُّ مني في ليلة ما تقدمتك. «5/ 17»

الكرم والجود

قال هشام بن حسان: ما رئي الحسن يتصدق بدراهم عدد قط، كان يخرج عطاءه فيحفن منه لآل فلان وآل فلان حتى يقول له ابنه [إن] لك عيالًا! فيطرح إليه ما بقي. «زهد هناد 1/ 338»

قال يونس: أخذ الحسن عطاءه فجعل يقسمه، قال: فذكر أهله حاجة فقال لهم: دونكم بقية العطاء، أما إنه لا خير فيه إلا أن يصنع به هذا.

---

[184] لعلها «معهن».

[185] معنى هذه الحكمة أن صاحب هذه الأخلاق الثلاثة لا يضره الاغتراب.

كان للحسن بيت إذا فتح بابه فهو إذنه فجاءه أعرابي فصادفه مفتوحًا فدخل والحسن في المذهب فجاء إلى شيء تحت سرير الحسن فأخرجه وجعل يأكل فنظر إليه الحسن وجعل يبكي فقيل له: ما يبكيك يا أبا سعيد؟! فقال: ذكرني هذا أخلاق قوم قد مضوا [١٨٦] قال الحسن: يأكل الرجل من منزل صديقه حتى ينهاه ثم قرأ «أَوْ صَدِيقِكُم»[١٨٧].

---

[١٨٦] وانظر «المتحابين في الله» «ص80».

[١٨٧] يعني قوله تعالى «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ-----وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ-----أَوْ صَدِيقِكُمْ» [النور 61].

وهذه رواية أخرى تشبه تلك: دخل رجل على الحسن فوجده نائمًا على سريره ووجد عند رأسه سلة فيها فاكهة ففتحها فجعل يأكل منها فانتبه فرأى الرجل يأكل فقال: رحمك الله هذا والله فعل الأخيار. «الإخوان ص 244».

وقال قتادة: دخلنا على الحسن وهو نائم وعند رأسه سلة فجذبناها فإذا خبز وفاكهه وجعلنا نأكل، فانتبه فرآنا فسره، فتبسم وهو يقرأ «أو صديقكم» لا جناح عليكم.

«السير 4/ 577»

كان الحسن إذا فقد الرجل من إخوانه أتاه فسلم عليه وسأله عن حاله، فإذا خرج من عنده، دعا الخادمة فأعطاها صرة فيها دراهم فقال: ادفعيها إلى مولاتك فقولي: استنفقيها؛ ولا تعلمي سيدك بها. «مكارم الأخلاق ص95»

لقي الحسن بعض إخوانه فلما أراد أن يفارقه خلع عمامته وألبسها إياه وقال: إذا أتيتَ

أهلك فبعها واستنفقْ بثمنها.

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد الرجل يشتري الشاة فيصنعها ويدعو عليها نفرًا من إخوانه؟ قال: وأين أولئك؟! ذهب أولئك[١٨٨].

قال الحسن: ان كان الرجل ليخلف الرجل في أهله أربعين عامًا بعد موته[١٨٩]. «رك ص231 ومكارم الأخلاق ص99»

---

[١٨٨] قال يونس بن عبيد: كنا عند الحسن البصري فأهديت إليه سلة من سكر ففتحها فلم أر سكرًا كان أحسن منه فقال برجله: اهضموا، أي كلوا. «الإخوان ص244»

[١٨٩] رواية أخرى: قال الحسن: أدركت أقوامًا إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله أربعين عامًا. «الزهد ص261»

قال الحسن: الحياء والتكرم خصلتان من خصال الخير لم تكونا في عبد إلا رفعه الله بهما. «الكرم والجود ص 45 ومكارم الأخلاق ص43»

قال شعبةُ: ما وعدتُ أيوبَ [السختياني] موعدًا إلا وجدتُه قد سبقني إليه. «3/ 4»

عن ابن عباس وعلي بن الحسين قالا: سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وسادة الناس في الآخرة الأتقياء. «الجواهر المجموعة ص53»

قال ميمون بن مهران: إذا نزل بك ضيف فلا تكلف له ما لا تطيق، وأطعمه من طعام أهلك، والقه بوجه طلق، فإنك إن تكلفت له ما لا تطيق أوشك أن تلقاه بوجه يكرهه. «الشعب 7/ 96»

قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدًا أهون عليه الدينار والدرهم من ابن شهاب[١٩٠] وما كانت عنده إلا مثل البعر. «صف2/ 138»

عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب أنه كان يكون معه في السفر قال: فكان يعطي من جاءه وسأله حتى إذا لم يبق معه شيء تسلف من

[١٩٠] هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ويكنى أبا بكر وهو حافظ كبير مشهور.

أصحابه فلا يزالون يسلفونه حتى لا يبقى معهم شيء فيحلفون أنه لم يبق معهم شيء فيستسلف من عبيده فيقول: أي فلان أسلفني وأُضعفُ لك كما تعلم، فيسلفونه، ولا يرى بذلك بأسًا[١٩١]، فربما جاءه السائل فيقول: أبشر فسيأتي الله بخير فيقيض الله لابن شهاب أحد رجلين: إما رجل يهدي له ما يسعهم، وإما رجل يبيعه ويُنْظره؛ قال: وكان يطعمهم الثريد ويسقيهم العسل[١٩٢]. «صفـ2/ 139»

قال عمرو بن دينار: دخل علي بن الحسين [بن علي] على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه فجعل محمد يبكي فقال علي: ما شأنك؟ قال: علي دين، قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار! قال: فهو علي.

---

[١٩١] أي لا يراه محرمًا لأنه ليس من الربا عنده.

[١٩٢] عن ضمام عن عقيل بن خالد أنه أخبره أن ابن شهاب كان يخرج إلى الأعراب يفقههم ويعطيهم [لعلها ويعظهم] فجاءه رجل وقد نفذ ما في يده فمد الزهري يده إلى عمامة عقيل فنزعها فأعطاها الرجل، وقال لعقيل: أعطيك خيرًا منها. «الإشراف على منازل الأشراف ص277»

المروءة والبعد عن الدناءة

قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: المروءة مروءتان، فللسفر مروءة، وللحضر مروءة: فأما مروءة السفر فبذل الزاد، وقلة الخلاف على الأصحاب، وكثرة المزاح في غير مَساخط الله؛ وأما مروءة الحضر: فإدْمان الاختلاف [١٩٣] إلى المساجد، وكثرة الإخوان في الله، وقراءة القرآن.

١٩٣ في «روضة العقلاء»: «فالإدمان» بدل «فإدمان الإختلاف» ،وهي عبارة «الإشراف»، فاخترتها لوضوح معناها.

نصيحة المسلمين والفرق بين النصيحة والتعيير

قال وكيع: حدثني أبي قال: كنت جالسًا مع زبيد [اليامي] فأتاه رجل ضرير يريد أن يسأله فقال له زبيد: إن كنت تريد أن تسأل عن شيء فإن معي غيري. «يقصد أن النصيحة يجب أن تكون بالسر بين الناصح والمنصوح ولما كان السائل اعمى قام الناصح بتنبيهه على أنه ليس وحده».

قال معاوية بن عبد الكريم: سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول يوم الجمعة وأهل المسجد أحفل ما كانوا قط: لو قيل لي: خذ بيد خير أهل المسجد لقلت: دلوني على أنصحهم لعامتهم، فإذا قيل هذا أخذت بيده؛ ولو قيل لي: خذ بيد شرهم لقلت دلوني على أغشهم لعامتهم؛ ولو أن مناديًا ينادي من السماء: أنه لا يدخل الجنة منكم إلا رجل واحد لكان ينبغي لكل إنسان أن يلتمس أن يكون ذلك الواحد، ولو أن مناديًا ينادي من السماء: أنه لا يدخل النار منكم إلا رجل واحد لكان ينبغي لكل إنسان أن يفْرقَ [١٩٤] أن يكون هو ذلك الواحد.

---

[١٩٤] أي يخاف.

قال معمر عن أبي بكر المزني قال: لو انتهيت إلى المسجد يوم الجمعة وهو ملآن يغص بالرجال فقال لي قائل: أي هؤلاء شر لقلت لقائلي: أيهم أغش لجماعتهم؟ فإذا قال: هذا، قلت: هو شرهم؛ وما كنت لأشهد على خيرهم أنه مؤمن مستكمل الايمان إذًا لشهدت أنه من أهل الجنة؛ وما كنت لأشهد على شرهم أنه منافق بريء من الإيمان، إذًا لشهدت أنه من أهل النار؛ ولكني أخشى على محسنهم وأرجو لمسيئهم؛ فما ظنكم بمسيئهم إذا خشيت على محسنهم؟! وما ظنكم بمحسنهم إذا رجوت لمسيئهم؟!

قال الحسن: الاسلام وما الاسلام؟ أن يسلم قلبك لله تعالى وأن يسلم منك كل مسلم وذي عهد[195].

قال الفضيل: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير.

---

[195] قال الفضيل: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير. «الفرق بين النصيحة والتعيير ص35».

وقال ابن حزم: وإن نصحتَ بشرط القبول منك فأنت ظالم. «مداواة النفوس ص110»

الدعوة[196] والتعليم والنصح والإرشاد

قال معمر: تلا الحسن «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[197] [فـ]ـقال: هذا حبيب الله، هذا ولي

---

[196] قال ابن القيم في «الفوائد» «ص 161»: «فلو سلك الدعاة المسلك الذي دعا الله ورسوله به الناس إليه لصلح العالم صلاحًا لا فساد معه».

وقال فيها أيضًا «ص 61»: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدْعون إليها الناس بأقوالهم ويدْعونهم إلى النار بأفعالهم؛ فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقًا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصوره أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق».

وقال ابن حجر في «فتح الباري» « 10/ 466» في أثناء شرحه لحديث التكفير: وهذا يقتضي أن من قال لآخر: أنت فاسق، أو قال له: أنت كافر، فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف المذكور، وأنه إذا كان كما قال لم يرجع عليه شيء لكونه صدق فيما قال؛ ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقًا ولا كافرًا أن لا يكون آثمًا في صورة قوله له: أنت فاسق، بل في هذه الصورة تفصيل: إن قصد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله جاز، وإن قصد تعييره وشهرته بذلك ومحض أذاه لم يجز، لأنه مأمور بالستر عليه وتعليمه وعظته بالحسنى، فمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف، لأنه قد يكون سببًا لإغرائه وإصراره على ذلك الفعل كما في طبع كثير من الناس من الأنفة لا سيما إن كان الآمر دون المأمور في المنزلة.

[197] فصلت «33».

الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين؛ فهذا خليفة الله. «تفسير الطبري 24/ 118 و رك ص507 ومفتاح دار السعادة 1/ 153»

عن ليث عن مجاهد «وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ»[198] قال: معلمًا للخير.

قال فرقد السبخي: قال عيسى بن مريم: طوبى للناطق في آذان قومٍ يسمعون كلامه، إنه ما تصدق رجل بصدقة أعظم أجرًا عند الله تعالى من موعظة قوم يصيرون بها إلى الجنة.

قال الحسن: أحب العباد إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويعملون في الأرض نصحًا.

كتب أبو الأبيض – وكان عابدًا – إلى بعض إخوانه: أما بعد فإنك لم تكلف من الدنيا إلا نفسًا واحدة، فإن أنت أصلحتها لم يضرَّك إفساد[199] من فسد بصلاحها، وإن أنت أفسدتها لم ينفعك صلاح من

---

[198] مريم «31».

[199] لعلها «فساد».

صلح بفسادها، واعلم أنك لن تسلم من الدنيا حتى لا تبالي مَن أكَلَها من أحمر أو أسود.

قال الحسن: عظ الناس بفعلك

قال عبد الله بن بشر: إن الرجل ربما جلس إلى أيوب السختياني فيكون لما يرى منه أشد اتباعًا منه لو سمع حديثه.

قال يزيدُ بنُ ميسرةَ: لا تبذلْ علمَكَ لمنْ لا يسألُهُ، ولا تنثرِ اللؤلؤَ عندَ من لا يلتقِطُه، ولا تنشُرْ بضاعتَكَ عندَ من يكسِّدُها عليك.

قال مغيرة: كان رجل على حال حسنة فأحدث، أو أذنب، ذنبًا؛ فرفضه أصحابه ونبذوه؛ فبلغ إبراهيم ذلك فقال: تداركوه وعظوه ولا تدعوه.

قال الحسن: المؤمن يداري ولا يماري، ينشر حكمة الله، فإن قبل حمد الله، وإن ردت حمد الله عز وجل.

كان صلة بن أشيم يخرج إلى الجبانة فيتعبد فيها، فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا فحادوا النهار عن الطريق وناموا بالليل متى يقطعون سفرهم؟ قال فكان كذلك يمر بهم ويعظهم فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة فانتبه شاب منهم فقال: يا قوم إنه لا يعني بهذا غيرنا، نحن بالنهار

نلهو وبالليل ننام، ثم اتبع صلة فلم يزل يختلف معه إلى الجبانة فيتعبد معه حتى مات.

عن ثابت أن صلة بن أشيم وأصحابه أبصروا رجلًا قد أسبل إزاره فأراد أصحابه أن يأخذوه بألسنتهم فقال صلة: دعوني أكفيكموه، قال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة، قال: وما ذاك يا عم؟ قال: ترفع إزارك، قال: نعم ونعمة عين، فقال لأصحابه: هذا كان أمثل، لو أخذتموه قال: لا أفعل؛ وفعل[٢٠٠].

قال عمر لمؤدبه: كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدبني؟ فقال: أحسن طاعة؛ قال [عمر]: فأطعني الآن كما كنتُ أطيعك إذ ذاك، خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك، ومن ثوبك حتى تبدو عقباك.

---

[٢٠٠] وأما لفظ «صفة الصفوة» فهو أن صلة وأصحابه مر بهم فتى يجر ثوبه، فهمَّ أصحاب صلة أن يأخذوه بألسنتهم أخذًا شديدًا، فقال صلة: دعوني أكفكم أمره؛ فقال: يا ابن أخي إنَّ لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قال: أن ترفع إزارك، قال: نعم، ونعمى عين؛ فرفع إزاره؛ فقال صلة لأصحابه: هذا كان أمثل مما أردتم، لو شتمتموه لشتمكم.

قال سفيان: جاء طلحة إلى عبد الجبار بن وائل – وعنده قوم – فسارَّه بشيء، ثم انصرف، فقال: أتدرون ما قال لي؟ قال: رأيتك التفتَّ أمسِ وأنت تصلي.

قال الحسين بن علي الحلواني: دخل اللصوص إلى بيت مالك بن دينار فلم يجدوا في البيت شيئًا فأرادوا الخروج من داره فقال مالك: ما عليكم لو صليتم ركعتين!.

قال زياد: كانَ زبيد الأياميُّ مؤذنَ مسجدِه، فكانَ يقولُ للصبيان: يا صبيان تعالوا فصلّوا أهبْ لكم الجوزَ! فكانوا يجيئونَ ويصلّونَ ثم يحوطون حولَه! فقلنا له: ما تصنع بهذا؟! قال: وما عليَّ أشتري لهم جوزًا بخمسة دراهم ويتعودون الصلاة؟!.

عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء قال: كنا نجمع الصبيان فنحدثهم.

الوعظ و القصص

قال الحسن: القَصص بدعة، ونعمت البدعة، كم من أخ يستفاد ودعوة تستجاب.

قال عامر بن عبد قيس التميمي: الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان.

قال عمرُ بن عبد العزيز: لا ينفعُ القلبَ إلا ما خرجَ مِن القلب.

قال عمر بن محمد بن المنكدر: بينا أنا جالس مع أبي في مسجد رسول الله ﷺ إذ مر بنا رجل يحدث الناس ويفتيهم ويقص، قال: فدعاه أبي فقال له: يا أبا فلان إن المتكلم يخاف مقت الله عز وجل، وإن المستمع يرجو رحمة الله عز وجل.

قال بكر بن عبد الله المزني: كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له حاجب يقربه ويدنيه، وكان هذا الحاجب يقول: أيها الملك أحسن إلى المحسن ودع المسيء تكفك إساءته؛ قال: فحسده رجل على قربه من الملك فسعى به فقال: أيها الملك إن هذا الحاجب هو ذا يخبر الناس أنك أبخر! قال: وكيف لي بأن أعلم ذلك؟! قال: إذا دخل عليك تدنيه لتكلمه فإنه يقبض على أنفه، قال: فذهب الساعي فدعا

الحاجب إلى دعوته واتخذ مرقة وأكثر فيها الثوم، فلما أن كان من الغد دخل الحاجب فأدناه الملك ليكلمه بشيء، فقبض على فيه، فقال الملك: تنحَّ، فدعا بالدواة وكتب له كتابًا وختمه وقال: اذهب بهذا إلى فلان، وكانت جائزته مئة ألف، فلما أن خرج استقبله الساعي فقال: أي شيء هذا؟! قال: قد دفعه إلي الملك، فاستوهبه فوهبه له، فأخذ الكتاب ومر به إلى فلان، فلما أن فتحوا الكتاب دعوا بالذباحين فقال: اتقوا الله يا قوم فإن هذا غلط وقع علي وعاوِدوا الملك! فقالوا: لا يتهيأ لنا معاودة الملك وكان في الكتاب: إذا أتاكم حامل كتابي هذا فاذبحوه واسلخوه واحشوه التبن ووجهوه إلي فذبحوه وسلخوا جلده و وجهوا به إليه؛ فلما ان رأى الملك ذلك تعجب فقال للحاجب: تعال وحدثني واصدقني، لما أدنيتك لماذا قبضتَ على أنفك؟ قال: أيها الملك إن هذا دعاني إلى دعوته واتخذ مرقة وأكثر فيها الثوم فأطعمني فلما أن أدناني الملك قلت: يتأذى الملك بريح الثوم! فقال: ارجع إلى مكانك وقل ما كنت تقوله، ووصله بمال عظيم؛ أو كما ذكره.

عن الفضل بن الربيع قال: حج أمير المؤمنين الرشيد فأتاني فخرجت مسرعًا فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك فقال:

ويحك قد حك في نفسي شيء فانظر لي رجلًا أسأله، فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعًا، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك، فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله، فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دَين؟ قال: نعم، فقال: أبا عباس اقض دينه؛ فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئًا، أنظر لي رجلًا أسأله، فقلت له: هاهنا عبد الرزاق بن همام، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعت الباب، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعًا، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك، قال: خذ لما جئناك له، فحادثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم، قال: أبا عباس اقض دينه؛ فلما خرجنا قال: ما أغنى صاحبك شيئًا، أُنظر لي رجلًا أسأله، قلت: هاهنا الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها فقال: اقرع الباب، فقرعت الباب فقال: من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال: ما لي ولأمير المؤمنين؟! فقلت: سبحان الله، أما عليك طاعة؟! أليس قد روي عن النبي ﷺأنه قال: ليس للمؤمن أن يذل نفسه فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا

البيت فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف هارون قبلي إليه، فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت غدًا من عذاب الله عز وجل، فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي، فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله، فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي، فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غدًا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت[٢٠١]؛ وقال له محمد بن كعب القرظي: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبًا وأوسطهم عندك أخًا وأصغرهم عندك ولدًا، فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك؛ وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غدًا من عذاب الله عز وجل فأحبَّ للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت؛ وإني أقول لك: إني أخاف عليك أشد الخوف [من] يوم تزل فيه الأقدام فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى

---

[٢٠١] كذا «من الموت» ولعلها «في الموت» أو «منها عند الموت» أو نحو ذلك مما تستقيم به العبارة.

هارون بكاء شديدًا حتى غشي عليه فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين؛ فقال: يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا؟! ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملًا لعمر بن عبد العزيز شكا إليه فكتب إليه عمر: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن يُنْصَرَفَ بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء؛ قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية أبدًا حتى ألقى الله عز وجل؛ قال: فبكى هارون بكاء شديدًا، ثم قال له: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى جاء إلى النبي ﷺفقال: يا رسول الله أمّرني على إمارة فقال له النبي [ﷺ]: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميرًا فافعل؛ فبكى هارون بكاء شديدًا وقال له: زدني رحمك الله؛ فقال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن إستطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل؛ وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺقال: من أصبح لهم غاشًا لم يرح رائحة الجنة، فبكى هارون وقال له: عليك دين؟ قال: نعم دين لربي

يحاسبني عليه فالويل لي إن سألني والويل لي إن ناقشني والويل لي إن لم أُلهم حجتي؛ قال: إنما أعني دين العباد؛ قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمر ربي أن أوحده وأطيع أمره فقال عز وجل: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {56} مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ {57} إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ»[٢٠٢]؛ فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادتك، فقال: سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك؛ ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون: أبا عباس إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين، فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به، فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال، فلما علم الفضيل خرج فجلس [في] السطح على باب الغرفة فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد

---

[٢٠٢] الذاريات «56–58».

آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف رحمك الله؛ فانصرفنا [٢٠٣].

«صفـ2/ 242-246»

عن الذيال بن عباد قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك أصبحت شيخًا كبيرًا وقد أثقلتك نعم الله عليك فيما أصح من بدنك وأطال من عمرك وعلمت حجج الله تعالى مما علمك من كتابه وفقهك فيه من دينه وفهمك من سنة نبيه فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك وكل حجة يحتج بها عليك الغرض الأقصى ابتلى في ذلك شكرك وأبدى[٢٠٤] فيه فضله عليك وقد قال عز وجل: «لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» [٢٠٥]؛ فانظر أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها وعن حججه عليك كيف قضيتها فلا تحسبن الله عز وجل راضيًا منك بالتعذير ولا قابلًا منك التقصير، هيهات ليس ذاك

---

٢٠٣ لم أشأ أن اختصر هذه القصة رغم ما فيها من تطويل غير داخل في شرط كتابي هذا وذلك لما تضمنته من العبرة والموعظة.

٢٠٤ في الأصل «وأبدا».

٢٠٥ إبراهيم «7».

أخذ على العلماء في كتابه إذ قال «لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ» [٢٠٦]؛ إنك تقول إنك جدل ماهر عالم قد جادلت الناس فجدلتهم وخاصمتهم فخصمتهم إدلالا منك بفهمك واقتدارًا منك برأيك فأين تذهب عن قول الله عز وجل: «هَاأَنتُمْ هَـؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢٠٧]؛ اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت أن آنست الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنيت وإجابتك حين دعيت، فما أخلقك أن ينوه غدًا باسمك مع الجرمة وأن تسأل عما أردت باغضائك عن ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، جعلوك قطبًا تدور عليه رحى باطلهم وجسرًا يعبرون بك إلى بلائهم وسلمًا إلى ضلالتهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ماخربوا عليك، وما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك! فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول، وانظر كيف

---

[٢٠٦] آل عمران «187».

[٢٠٧] النساء «109».

شكرك لمن غذاك بنعمه صغيرًا وكبيرًا، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس مبجلًا وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته مستترًا، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريبًا، ما لك لا تتنبه من نعستك وتستقيل من عثرتك؟! فتقول: والله ما قمت لله عز وجل مقامًا واحدًا أحيي له فيه دينًا ولا أميت له فيه باطلًا، أين شكرك لمن استحملك كتابه واستودعك علمه؟! ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله عز وجل [فيهم]: «فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى»[208] الآية؛ إنك لست في دار مقام، قد أوذنت بالرحيل، فما بقاء المرء بعد أقرانه؟! طوبى لمن كان في الدنيا على وجل، ما يؤمن من أن يموت وتبقى ذنوبه من بعده؟ إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلًا أن ترد له على ظهرك، ذهبت اللذة وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره! احذر فقد أتيت، وتخلَّص فقد وهلت، إنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل، تجهز فقد دنا منك سفر بعيد، وداو دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أني أردت توبيخك وتعييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من

---

[208] الأعراف «169»، وتتمتها «وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ».

رأيك وترد عليك ما عزب عنك من حلمك وذكرت قوله تعالى: «وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ»[٢٠٩]، أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه دخر لك خيرًا منعوه أو علمك شيئًا جهلوه؛ فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك فمن يلوم الحدث في سنه الجاهل في علمه المأفون في رأيه المدخول في عقله؟! ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال الحسن: لما نزلت «فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»[٢١٠]

قال رجل من المسلمين: حسبي، إن عملت مثقال ذرة من خير أو شر رأيتها، انتهت الموعظة.

لما حضر الموتُ الحسنَ دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا له: يا أبا سعيد زودنا منك كلمات تنفعنا بهن، قال: إني مزودكم ثلاث

---

[٢٠٩] الذاريات «55».

[٢١٠] الزلزلة «7-8».

كلمات ثم قوموا عني ودعوني ولما[٢١١] توجهت له: ما نهيتم عنه من أمر فكونوا من أترك الناس له، وما أمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به، واعلموا أن خطاكم خطوتان: خطوة لكم وخطوة عليكم، فانظروا أين تغدون وأين تروحون.

وعظ الحسن أصحابه فقال: إن الدنيا دارُ عملٍ، من صحبها بالنقص لها والزهادة فيها سعد بها ونفعته صحبتها، ومن صحبها على الرغبة فيها والمحبة لها شقي بها وأجحف بحظه من الله عز وجل ثم أسلمته إلى ما لا صبر له عليه ولا طاقة له به من عذاب الله؛ فأمرُها صغير، ومتاعها قليل، والفناء عليها مكتوب، والله تعالى ولي ميراثها، وأهلها محولون عنها إلى منازل لا تبلى ولا يغيرها طول الثواء منها يخرجون؛ فاحذروا – ولا قوة إلا بالله – ذلك الموطنَ، وأكثروا ذكرَ ذلك المنقلب[٢١٢]؛ واقطع يا ابنَ آدمَ من الدنيا أكثرَ همك، أو لتقطعن حبالها بك فينقطع ذكر ما خلقت له من نفسك ويزيغ عن الحق قلبك وتميل إلى الدنيا فترديك، وتلك منازلُ سوءٍ بيِّنٌ ضُرُّها منقطع نفعُها

---

[٢١١] كذا بالأصل وكأن اللام هنا زائدة أو تكون الواو هي الزائدة.

[٢١٢] في الأصل «المنفلت» وهو تصحيف.

مفضية والله بأهلها إلى ندامة طويلة وعذاب شديد؛ فلا تكونن يا ابنَ آدمَ مغترًا، ولا تأمنْ ما لم يأتك الأمان منه، فإن الهول الأعظم ومفظعات الأمور أمامك لم تخلص منها حتى الآن! ولا بد من ذلك المسلك وحضور تلك الأمور، إما يعافيك من شرها وينجيك من أهوالها، وإما الهَلَكَةُ، وهي منازل شديدة مخوفة محذورة مفزعة للقلوب، فلذلك فاعددْ، ومن شرها فاهربْ، ولا يلهينك المتاع القليل الفاني، ولا تربص بنفسك فهي سريعة الانتقاص من عمرك، فبادر أجلَك ولا تقل: غدًا غدًا، فإنك لا تدري متى إلى الله تصير!؛ واعلموا أن الناس أصبحوا جادين في زينة الدنيا، يضربون في كل غمرة، وكلٌّ معجب بما هو فيه راض به، حريص على أن يزداد منه، فما لم يكن من ذلك لله عز وجل وفي طاعة الله فقد خسر أهله وضاع سعيه، وما كان من ذلك في الله وفي طاعة الله فقد أصاب أهله به وجه أمرهم ووفقوا فيه بحظهم، عندهم كتاب الله وعهده وذكر ما مضى وذكر ما بقي والخبر عمن وراءهم، كذلك أمر الله اليوم وقبل ذلك أمره فيمن مضى، لأن حجة الله بالغة والعذر بارز وكل موافٍ اللهَ بما [٢١٣] عمل ثم يكون القضاء من الله في عباده على أحد أمرين: فمقضيٌّ له

[٢١٣] في الأصل «ولما» بدل «بما».

رحمته وثوابه فيا لها نعمة وكرامة، ومقضي له سخطه وعقوبته فيا لها حسرة وندامة، ولكن حق على من جاءه البيان من الله بأن هذا أمره وهو واقع: أن يصْغُرَ في عينه ما هو عند الله صغير، وأن يعظم في نفسه ما هو عند الله عظيم؛ أو ليس ما ذكر الله من الكرامة[٢١٤] لأهلها فيما بعد الموت والهوان ما يطيب نفس امرىء عن عيشة دنياه؟! فإنها قد أذنت بزوال، لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجائعها، يبلى جديدها ويسقم صحيحها ويفتقر غنيها، ميالة بأهلها لعابة بهم على كل حال؛ ففيها عبرة لمن اعتبر وبيان؛ فعلامَ تنتظر يا ابنَ آدم؟! أنت اليوم في دار هي لافظتك وكأنْ قد بدا لك أمرها فإلى انصرام ما يكون سريعًا، ثم تفضي بأهلها إلى أشد الأمور وأعظمها خطرًا؛ فاتق الله يا ابن آدم، وليكن سعيك في دنياك لآخرتك فإنه ليس لك من دنياك شيء إلا ما صدرت أمامك، فلا تدخرن عن نفسك مالك ولا تتبع نفسك ما قد علمت أنك تاركه خلفك، ولكن تزود لبعد الشقة واعدد العدة أيام حياتك وطول مقامك قبل أن ينزل بك من قضاء الله ما هو نازل فيحول دون الذي تريد، فإذا أنت يا ابن آدم قد ندمت حيث لا تغني الندامة عنك؛ ارفض الدنيا ولتسْخُ بها نفسُك، ودع منها الفضلَ فإنك

---

[٢١٤] تصحفت في الأصل إلى «الكراهة».

إذا فعلتَ ذلك أصبت أربح الأثمان من نعيم لا يزول، ونجوت من عذاب شديد ليس لأهله راحة ولا فترة؛ فاكدح لما خلقت له قبل أن تفرق بك الأمور فيشق عليك اجتماعها؛ صاحب الدنيا بجسدك وفارقها بقلبك، ولينفعك ما قد رأيت مما قد سلف بين يديك من العمر، وحال بين أهل الدنيا وبين ما هم فيه، فإنه عن قليل فناؤه ومخوف وباله؛ وليزدك إعجاب أهلها بها زهدًا فيها وحذرًا منها؛ فإن الصالحين كذلك كانوا؛ واعلم يا ابن آدم أنك تطلب أمرًا عظيمًا لا يقصر فيه إلا المحروم الهالك؛ فلا تركب الغرور وأنت ترى سبيله، ولا تدعْ حظَّك وقد عرض عليك وأنت مسؤول ومقول لك فأخلص عملك؛ وإذا أصبحت فانتظر الموت وإذا أمسيت فكن على ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ وإن أنجى الناس من عمل بما أنزل الله في الرخاء والبلاء، وأمر العباد بطاعة الله وطاعة رسوله، فإنكم أصبحتم في دار مذمومة، خُلقتْ فتنةً وضرب لأهلها أجلٌ إذا انتهوا إليه يبيد، أخرجَ نباتَها وبث فيها من كل دابة ثم أخبرهم بالذي هم إليه صائرون وأمر عباده فيما أخرج لهم من ذلك بطاعته وبين لهم سبيلها، يعني سبيل الطاعة، ووعدهم عليها الجنة، وهم في قبضته، ليس منهم بمعجز له، وليس شيء من أعمالهم يخفى عليه، سعيهم فيها

شتى، بين عاص ومطيع له، ولكلٍّ جزاء من الله بما عمل ونصيب غير منقوص، ولم أسمع الله تعالى فيما عهد إلى عباده وأنزل عليهم في كتابه رغَّبَ في الدنيا أحدًا من خلقه ولا رضي له بالطمأنينة فيها ولا الركون إليها! بل صرف الآيات وضرب الأمثال بالعيب لها والنهي عنها ورغب في غيرها، وقد بين لعباده أن الأمر الذي خلقت له الدنيا وأهلها عظيم الشأن هائل المطلع، نقلهم عنه أراه [٢١٥] إلى دار لا يشبه ثوابهم ثوابًا ولا عقابهم عقابًا، لكنها دار خلود يدين الله تعالى فيه العباد بأعمالهم ثم ينزلهم منازلهم، لا يتغير فيها بؤس عن أهلها ولا نعيم، فرحم الله عبدًا طلب الحلال جهده حتى إذا دار في يده وجَّهه وجْهه الذي هو وجْهُه؛ ويحك يا ابن آدم ما يضرك الذي أصابك من شدائد الدنيا إذا خلص لك خير الآخرة؛ «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ»[٢١٦] هذا فضح القوم، ألهاكم التكاثر عن الجنة عند دعوة الله تعالى وكرامته! والله لقد صحبنا أقوامًا كانوا يقولون: ليس لنا في الدنيا حاجة، ليس لها خلقنا، فطلبوا الجنة بغدوهم ورواحهم وسهرهم، نعم والله حتى أهرقوا فيها دماءهم ورجوا فأفلحوا

---

[٢١٥] كذا في الأصل.

[٢١٦] التكاثر «1 – 2».

ونجوا، هنيئًا لهم لا يطوي أحدهم ثوبًا ولا يفترشه ولا تلقاه إلا صائمًا ذليلًا متبائسًا خائفًا حتى إذا دخل إلى أهله إن قرب إليه شيء أكله وإلا سكت، لا يسألهم عن شيء ما هذا وما هذا؟؛ ثم قال:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

قال الحسن: [يا ابن آدم عملك عملك! فإنما هو لحمُك ودمُك، فانظر على أي حال تلقى عملَك! إن لأهل التقوى علاماتٍ يُعرفون بها: صدق الحديث والوفاء بالعهد وصلة الرحم ورحمة الضعفاء وقلة الفخر والخيلاء وبذل المعروف وقلة المباهاة للناس وحسن الخلق وسعة الخلق مما يقرب إلى الله عز وجل]؛ يا ابن آدم إنك ناظر إلى عملك يوزن[٢١٧] خيره وشره فلا تحقرن من الخير شيئًا وإن هو صغر، فانك إذا رأيتَه سرك مكانه، ولا تحقرن من الشر شيئًا فإنك إذا رأيته ساءك مكانه، فرحم الله رجلًا كسب طيبًا وأنفق قصدًا وقدم فضلًا ليوم فقره وفاقته؛ [وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله وضعوها حيث أمر بها الله أن توضع فإن من قبلكم كانوا يشترون أنفسهم بالفضل من الله وإن هذا الموت هو أضر بالدنيا ففضحها فوالله ما

---

[٢١٧] تصحفت هذه الكلمة في «المصنَّف» إلى «فزد».

وجد بعد[ه] ذولبفرحًا]؛ هيهات هيهات، ذهبت الدنيا بحالتي مآلها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وقد أسرع بخياركم فما تنتظرون؟! المعاينة؟! فكأن قد! إنه لا كتاب بعد كتابكم ولا نبي بعد نبيكم؛ يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبيعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعًا [٢١٨].

«2/ 143 والمصنف 7/ 237»

قال الحسن: رحم الله امرءًا عرف ثم صبر ثم أبصر فبصر، فإن أقوامًا عرفوا فانتزع الجزعُ أبصارَهم فلا هم أدركوا ما طلبوا ولا هم رجعوا إلى ما تركوا؛ اتقوا هذه الأهواء المضلة البعيدة من الله التي جماعها الضلالة وميعادها النار، لهم محنة، من أصابها أضلته، ومن أصابته قتلته؛ يا ابن آدم دينك دينك فإنه هو لحمك ودمك، إن يسلم لك دينك يسلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى فنعوذ بالله، فإنها نار لا تطفى وجرح لا يبرأ وعذاب لا ينفد أبدًا ونفس لا تموت؛ يا ابن آدم إنك موقوف بين يدي ربك ومرتهن بعملك، فخذ مما في يديك لما بين يديك عند الموت يأتيك الخبر، إنك مسؤول ولا تجد

---

[٢١٨] قطعتان من هذا الأثر جعلتُ كلًا منهما بين حاصرتين مربعتين، القطعة الأولى زيادة في الحلية على المصنَّف، والثانية بعكسها.

جوابًا؛ إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه.

قال أبو بكر الهذلي: كنا نجلسُ عندَ الحسنِ فأتاه آتٍ فقالَ: يا أبا سعيدٍ دخلْنا آنفًا على عبدِ الله بنِ الأهتمِ [٢١٩] فإذا هو يجودُ بنفسِهِ، فقلنا: يا أبا معمرٍ كيفَ تجدُك؟ قالَ: أجدُني واللهِ وَجِعًا، ولا أظنُّني إلا لما بي[٢٢٠]، ولكن ما تقولونَ في مئةِ ألفٍ في هذا الصندوقِ لم تُؤَدَّ منْها زكاةٌ ولم يوصَلْ منها رَحِمٌ؟! فقلنا: يا أبا معمر فلِمَ كنتَ تجمعُها؟! قالَ: كنتُ واللهِ أجمعُها لرَوعةِ الزمانِ وجفْوةِ السلطانِ ومكاثرةِ العشيرةِ، فقالَ الحسنُ: انظروا هذا البائسَ أنَّى أتاهُ الشيطانُ فحذَّرهُ روعةَ زمانِهِ وجفْوةَ سلطانِهِ عما استودَعه اللهُ إياهُ وعمَّرهُ فيهِ! خرّجَ واللهِ منهُ كئيبًا حزينًا ذميًا مُليمًا [٢٢١]، أيها عنكَ [٢٢٢] أيُّها الوارثُ لا تُخدَعْ كما خُدِعَ صويحِبُكَ أمامَكَ، أتاكَ هذا المالُ حلالًا فإيّاكَ وإياكَ أن يكونَ وبالًا عليكَ! أتاكَ واللهِ مِمن كانَ لهُ جموعًا منوعًا يدأَبُ فيهِ الليلَ والنهارَ،

---

[٢١٩] هو خالد بن صفوان التميمي أحد فصحاء العرب المشهورين.

[٢٢٠] أي يرى أنه ميت.

[٢٢١] أي فاعلًا لما يُلام عليه.

[٢٢٢] أي احذر.

يقطعُ فيهِ المفاوزَ والقفارَ مِنْ باطلٍ جمعَهُ ومِنْ حقٍّ منعَه، جمعَهُ فأوعاهُ، وشدَّه فأوكاهُ، لم يؤدِّ منه زكاةً، ولمْ يَصِلْ منه رحِمًا؛ إنَّ يومَ القيامةِ ذو حسراتٍ، وإنَّ أعظمَ الحسراتِ غدًا أن يرى أحدُكم مالَهُ في ميزانِ غيرِه أوَتَدرونَ كيفَ ذاكم؟ رجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا وأمرَهُ بإنفاقِهِ في صنوفِ حقوقِ الله فبخِلَ بهِ فوَرِثَهُ هذا الوارثُ فهو يراهُ في ميزانِ غيرِهِ فيا لَهَا عثرةً لا تقالُ وتوبةً لا تنال. « 2/ 144–145 وانظر الجواهر المجموعة ص127–128»

قال الحسن: يا ابنَ آدمَ سرطًا سرطًا؟! جمعًا جمعًا في وعاء؟! وشدًا شدًا في وكاء؟! ركوبَ الذلولِ ولبوسَ الليِّنِ؟! ثم قيلَ: ماتَ فأفضى واللهِ إلى الآخرةِ، إنَّ المؤمنَ عملَ للهِ تعالى أيامًا يسيرةً فواللهِ ما ندمَ أن يكون أصابَ من نعيمِها ورخائِها ولكنْ راقت الدنيا له فاستهانها وهضَمها لآخرتِهِ، وتزوَّدَ منها فلم تكن الدنيا في نفسه بدارٍ ولم يرغبْ في نعيمِها، ولم يفرحْ برخائِها، ولم يتعاظمْ في نفسِهِ شيءٌ من البلاءِ، إن نزلَ بهِ مع احتسابِهِ للأجرِ عندَ اللهِ، ولم يحتسبْ نوالَ الدنيا حتى مضى راغبًا راهبًا فهنيئًا هنيئًا، فأمَّنَ اللهُ بذلكَ روعتَهُ وسترَ عورَتَه، ويسَّر حسابَه وكانَ الأكياسُ منَ المسلمينَ يقولونَ: إنما هو الغدُوُّ والرواحُ

وحظٌّ مِنَ الدُّلجةِ والاستقامة، لا يلبثك يا ابن آدم أن على الخير [٢٢٣] حتى ان العبدَ إذا رزقه اللهُ تعالى الجنةَ فقد أفلحَ وإن الله تعالى لا يخدعُ عن جنتِهِ ولا يعطى بالأماني، وقد اشتد الشحُّ وظهرتِ الأمانيُّ وتمنى المتمني في غروره.

قال الحسن بن حماد: سمعت أبي حمادٍ يقول: دخلت البصرة فسألت مرحوم العطار: هل بقي من جلساء الحسن أحد؟ فقال: بقي شيخ، فأتيته، فقلت له: رحمك الله إن رأيت أن تحدثني بعض كلام الحسن فأتعَظ به، فقال: كان الحسن كثيرًا ما يقول في كلامه: يا ابن آدم نطفة بالأمس وجيفة غدًا، والبلى فيما بين ذلك يمسح جنبيك؛ كأن الأمر يعنى به غيرك؛ إن الصحيح من لم تمرضه الذنوب؛ وإن الطاهر من لم تنجسه الخطايا؛ وإن أكثركم ذكرًا للآخرة أنساكم للدنيا؛ وإن أنسى الناس للآخرة أكثرهم [٢٢٤] ذكرا للدنيا؛ وإن أهل العبادة من أمسك نفسه عن الشر؛ وإن البصير من أبصر الحرام فلم يقربه؛ وإن العاقل من يذكر يوم القيامة ولم ينس الحساب. «الزهد الكبير ص68»

---

[٢٢٣] هذه العبارة غير بينة في معناها.

[٢٢٤] بالأصل «أكثركم».

قال مالك بن دينار: نحنُ رهائنُ الأمواتِ وهم محتَبَسونَ حتى تردَّ إليهم الرهائنُ فَيُحشَرونَ جميعًا ثم غُشِيَ عليه. «2/ 371»

قالَ جعفرُ بنُ سليمانَ: سمعتُ أبا عِمرانَ الجونيَّ يقولُ في قصصهِ: حتى متى تبقى وجوهُ أولياءِ الله تحتَ أطباق الترابِ، وإنما هم محتبسون ببقيةِ آجالِكم أيتها الأمةُ حتى يبعثَهم اللهُ تعالى إلى جنته وثوابه. «2/ 309»

قالَ أبو عمران الجوني: ما من ليلة تأتي إلا وتنادي: اعملوا في ما استطعتم من خيرٍ فلن أرجعَ اليكم إلى يوم القيامة. «2/ 310»

قال أبو عمران الجوني: إنه ليسَ بين الجنةِ والنارِ طرقٌ ولا فَيافٍ ولا منزلٌ هنالك لأحدٍ، مَن أخطأتْه الجنةُ صارَ إلى النار. «2/ 310»

قال قتادة: مكتوب في التوراة ابن آدم أرزقك وتعبد غيري! ابن آدم تعمل بعمل الفجار وتبتغي ثواب الأبرار! ابن آدم تجتني من الشوك العنب! كما تدين تدان، كما تزرع تحصد، ابن آدم كما ترحم ترحم، ابن آدم كيف ترجو رحمة الله وأنت لا ترحم عباده؟! ابن آدم تدعو إلي وتفر مني؟! «الزهد الكبير ص275-276»

قال مالك بن دينار: مكتوب في التوراة: كما تدين تدان وكما تزرع تحصد. «اقتضاء العلم العمل ص98»

قال مالك: أتيت على قبر فإذا عليه مكتوبٌ:

يا أيها الركب سيروا إن غايتكم

أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

حُثُّوا المطايا وأَرْخُوا مِن أزمتها

قبل الممات وقَضُّوا مـا تقضونا

كنـا أناسًا كمـا كنتـم فغيَّـرنا

دهرٌ فسوف كما كنـا تكونـونا

قال ابن شوذب: سمعت فرقدًا [السبخي] يقول: إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل! ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه، فإذا فرغ اغتسل ولبس ثوبين نقيين؟! وأنتم تلبسون ثياب الفراغ قبل العمل! «صف3/ 273»

دخل سليمان بن عبد الملك المدينةَ حاجًا فقال: هل بها رجلٌ أدركَ عِدّةً من الصحابة؟ قالوا: نعم، أبو حازم، فأرسلَ إليه، فلما أتاه قال: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟! قال: وأيُّ جفاءٍ رأيتَ مني يا أميرَ المؤمنين؟! قال: وجوه الناس أتوني ولم تأتني! قال: والله ما عرفتَني قبل هذا ولا أنا رأيتُكَ فأي جفاءٍ رأيتَ مني؟! فالتفتَ سليمان إلى الزهري فقال: أصاب الشيخُ وأخطأتُ أنا! فقال: يا أبا حازم ما لنا

نكرهُ الموتَ؟! فقال: عمَّرتم الدنيا وخرَّبتم الآخرة فتكرهون الخروجَ من العمران إلى الخراب! قالَ: صدقتَ؛ فقال: يا أبا حازم ليت شعري ما لنا عند الله تعالى غدًا؟ قال: اعرض عملَك على كتاب الله عز وجل، قال: وأين أجده من كتاب الله تعالى؟ قال: قال الله تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» [٢٢٥]، قال سليمان: فأين رحمة الله؟! قال أبو حازم: قريبٌ من المحسنين؛ قال سليمان: ليت شعري كيف العرضُ على الله غدًا؟ قال أبو حازم: أما المحسن كالغائب يَقْدم على أهله، وأما المسيء كالآبق يُقْدَمُ به على مولاه؛ فبكى سليمان حتى علا نحيبُه واشتد بكاؤه! فقالَ: يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح؟ قال: تدعوأ [٢٢٦] عنكم الصلَفُ [٢٢٧] وتمسكوا بالمروءة وتقسموا بالسوية وتعدلوا في القضية، قال: يا أبا حازم وكيف المأخذ من ذلك؟ قال: تأخذه بحقه وتضعه بحقه في أهله، قال: يا أبا حازم من أفضل

[٢٢٥] الانفطار «13-14».

[٢٢٦] كانت «تدعون»، فكتبتها بحذف النون، لتكون الأفعال المتعاطفة في هذا السياق متحدة في إعرابها.

[٢٢٧] قال ابن الأثير في «النهاية» « 3/ 47» في بيان معنى الصلف: «هو الغُلوّ في الظَّرف والزيادةُ على المِقْدار معَ تكبُّر».

الخلائق؟ قال: أولوا المروءة والنهى، قال: فما أعدل العدل؟ قال: كلمة صدق عند من ترجوه وتخافه، قال: فما أسرع الدعاء إجابة؟ قال: دعاء المحسن للمحسنين، قال: فما أفضل الصدقة؟ قال: جهد المقل إلى يد البائس الفقير لا يتبعها منٌّ ولا أذى، قال: يا أبا حازم من أكيس الناس؟ قال: رجلٌ ظفرَ بطاعة الله تعالى فعمل بها ثم دل الناس عليها، قال: فمن أحمق الخلق؟ قال: رجلٌ اغتاظ في هوى أخيه وهو ظالم له فباع آخرته بدنياه، قال: يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا وتصيب منا ونصيب منك؟ قال: كلا، قال: ولِمَ؟ قال: إني أخاف أن أركنَ إليكم شيئًا قليلًا فيذيقني الله ضعفَ الحياة وضعفَ المات ثم لا يكون لي منه نصيرًا؛ قال: يا أبا حازم ارفع إليَّ حاجتَكَ، قال: نعم، تدخلني الجنةَ وتخرجني من النارِ، قال: ليس ذاك إليَّ! قال: فما لي حاجة سواها؛ قال: يا أبا حازم فادعُ الله لي؛ قال: نعم، اللهم إن كان سليمان من أوليائك فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان من أعدائك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى؛ قال سليمان: قط؟! قال أبو حازم: قد أكثرتُ وأطنبتُ إن كنتَ أهلَه، وإن لم تكن أهلَه فما حاجتُك أن ترمي عن قوس ليس لها وتر؛ قال سليمان: يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: أوَتعفيني يا أميرَ المؤمنين؟! قال: بل نصيحة تلقيها

إلي، قال: إنَّ آباءَك غصبوا الناسَ هذا الأمرَ فأخذوه عنوةً بالسيف من غير مشورة ولا اجتماع من الناس وقد قَتلوا فيه مقتلةً عظيمةً وارتحلوا، فلو شعرت ما قالوا وقيل لهم! فقال رجل من جلسائه: بئسَ ما قلتَ! قال أبو حازم: كذبتَ إن الله تعالى أخذ على العلماء الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه! قال: يا أبا حازم أوصني، قال: نعم سوف أوصيك وأُوجِز: نزِّه الله تعالى وعظمه أن يراك حيث نهاك أو يفقدَك حيث أمرك؛ ثم قام، فلما ولّى قال: يا أبا حازم هذه مئة دينار أنفقْها ولك عندي أمثالها كثير؛ فرمى بها وقال: والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي؟! ---- فإن كانت هذه المئة دينار عوضًا عما حدثتك فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحلُّ منه؛ وإن كان من مال المسلمين فلي فيها شركاء ونظراء، إن وازيتهم وإلا فلا حاجة لي فيها! إن بني اسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كانت أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم، فلما نكسوا ونفسوا وسقطوا من عين الله تعالى وآمنوا بالجبت والطاغوت كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم ويشاركونهم في دنياهم وشركوا معهم في قتلهم [228]؛ قال ابن شهاب: يا أبا حازم إياي تعني أو بي تعرِّض؟ قال: ما إياك

[228] كذا في الأصل.

اعتمدت ولكن هو ما تسمع، قال سليمان: يا ابن شهاب تعرفُه؟ قال: نعم جاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته كلمة قط، قال أبو حازم: إنك نسيتَ الله فنسيتني ولو أحببتَ اللهَ تعالى لأحببتني، قال ابن شهاب: يا أبا حازم تشتمني؟! قال سليمان: ما شتمك ولكن شتمتْكَ نفسُكَ أما علمت أنَّ للجارِ على الجارِ حقًا كحق القرابة.

قال أبو حازم: إني لأعظ وما أرى للموعظةِ موضعًا وما أريد بذلك إلا نفسي.

قال أبو حازم: إن الدنيا غرت أقوامًا فعملوا فيها بغير الحق، ففاجأهم الموت فخلفوا مالهم لمن لا يحمَدهم، وصاروا لمن لا يعذِرهم، وقد خلَقَنا[٢٢٩] بعدهم فينبغي أن ننظر الذي [٢٣٠] كرهناه منهم فنجتنبه، والذي غبَطناهم به فنستعمله. «أدب الدنيا والدين ص128»

---

[٢٢٩] ضبطت في بعض كتب الأدب «خلَفْنا» وكأنه الصواب.

[٢٣٠] كانت «للذي».

قال أبو حازم: لو أن أحدكم قيل له ضع ثوبك على هذا الهدف حتى يرمى لقال: ما كنت لأخرق ثوبي وهو يخرق دينه.

«صف 2/ 165»

قال أبو حازم: قد رضِيْتُ مِن أحدِكم أن يُبْقِي على دينِهِ [٢٣١] كما يُبقِي على نعليْهِ. «3/ 239»

دخل أبو حازمٍ على أميرِ المدينةِ فقالَ لهُ: تكلَّم، فقالَ لهُ: أُنظرِ الناسَ ببابِكَ، إنْ أدنيتَ أهلَ الخيرِ ذهبَ أهلُ الشرِّ، وإنْ أدنيتَ أهلَ الشرِّ ذهبَ أهلُ الخيرِ.

قال وهب بن منبه في موعظة له: يا ابن آدم إنه لا أقوى من خالق ولا أضعف من مخلوق ولا أقدر ممن طلبته في يده ولِا أضعف ممن هو في يد طالبه. «4/ 24»

قال وهب: إذا أردتَ أن تعملَ بطاعة الله عز وجل فاجتهدْ في نصحِكَ وعلمِكَ لله، فإن العملَ لا يُقبَلُ ممن ليسَ بناصح، وإنَّ النصحَ لله عز وجل لا يكملُ إلا بطاعة الله، كمثلِ الثمرةِ الطيبةِ ريحُها طيبٌ وطعمها طيب، كذلك مثلُ طاعةِ الله، النصحُ ريحها والعمل طعمها، ثم زينْ طاعةَ الله بالعلم والحلم والفقه، ثم أكرمْ نفسَك عن

---

[٢٣١] أي يحافظ على دينه.

أخلاق السفهاء وعبِّدها على أخلاق العلماء، وعوِّدها على فعل الحلماء، وامنعها عملَ الأشقياء، وألزِمْها سيرة الفقهاء، واعزلْها عن سُبل الخبثاء، وما كان لك من فضل فاعنْ بهِ من دونَك، وما كان فيمن دونك من نقص فأعنه عليه، حتى تبلّغه معك، فإن الحكيم يجمع فضوله ثم يعود بها على من دونه ثم ينظر في نقائص من دونه، ثم يقومها ويزجيها حتى يبلّغه. إن كان فقيهًا حمل من لا فقه له إذا رأى أنه يريد صحبته ومعونته؛ وإذا كان له مال أعطى منه من لا مال له، وإن كان مصلحًا استغفر الله للمذنب إذا رجا توبته؛ وإن كان محسنًا أحسن إلى من أساء إليه واستوجب بذلك أجره؛ ولا يغتر بالقول حتى يجيء معه الفعل؛ ولا يتمنى طاعة الله إذا لم يعمل بها، فإذا بلغ من طاعة الله شيئًا حمد الله ثم طلب ما لم يبلغ منها؛ وإذا علم من الحكمة لم تشبعه حتى يتعلم ما لم يبلغ منها؛ وإذا ذكر خطيئته سترها عن الناس واستغفر الله الذي هو القادر على أن يغفرها، ثم لا يستعين على شيء من قوله بالكذب، فإن الكذب في الحديث مثل الأكلة في الخشبة يُرى ظاهرُها صحيحًا وجوفها نخر، لا يزال من يغتر بها يظن أنها حاملة ما عليها حتى تنكسر على ما فيها ويهلك من اغتر بها؛ وكذلك الكذب في الحديث لا يزال صاحبه يغتر به ويظن أنه

مًعينه على حاجته وزائد له في رغبته حتى يعرف ذلك منه ويتبين لذوي العقول غروره ويستنبط العلماء ما كان يستخفي به عنهم، فاذا اطلعوا على ذاك من أمره وتبين لهم كذبوا خبره وأبادوا [٢٣٢] شهادته واتهموا صدقه واحتقروا شأنه وأبغضوا مجلسه واستخفوا منه بسرائرهم وكتموا حديثهم وصرفوا عنه أمانتهم وغيبوا عنه أمرهم وحذِروه[٢٣٣]على دينهم ومعيشتهم، ولميُحضروه شيئًا من محاضرهم، ولم يأمنوه على شيء من سرهم ولم يحكموه في شيء مما شجر بينهم.

---

[٢٣٢] لعلها كانت «وردوا» ثم تصحفت.

[٢٣٣] كانت في الأصل «وحزروه».

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

كتاب «من روائع أقوال الصالحين» يحوي على عدد من أقوال الصالحين مصنفة حسب الأبواب، وقد اخترتها من كتاب «المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين» لصاحبه محمد خلف سلامة جزاه اللّه خيرا. حيث قمت في هذا الكتاب باختصار كتابه، وانتقاء جملة من تلك الأقوال، وترتيبها، حيث وجدت في كتابه أقوالا متشابهة ومكررة، فأحببت أن أختصرها، وانتقي أحسنها وذلك تيسيرا على القارئ الكريم ، واللّه ولي التوفيق..

محمد بن حمشو معمو